وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

سند بيداغوجي في مقياس:

سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي

موجه لطلبة السنة الثالثة ليسانس علم الاجتماع العام

السداسي الخامس والسادس.

إعداد الأستاذ: زهواني عمر

الموسم الجامعي

2023/2022

محتوى المقياس

السداسي الخامس: طبيعة الرابط الاجتماعي و الكونية الأوروبية

تمهيد

1- الرابط الاجتماعي في عصر الأنوار

2- مفهوم الرابط الاجتماعي

3- أنواع الرابط الاجتماعي

4- علم الاجتماع الكلاسيكي و الرابط الاجتماعي (إميل دور كايم، ماكس فيبر، كارل ماركس، جورج زيمل، غبريال تارد، فلفريدو باريتو)

5- الحداثة وما بعد الحداثة

6- التجانس الاجتماعي. التضامن الاجتماعي.

7- الهوية الاجتماعية.

8- أسس و أبعاد المواطنة.

9- أزمة التنشئة الاجتماعية (ضعف الرابط الأسري، الإقصاء الاجتماعي).

خلاصة

السداسي السادس

طبيعة الرابط الاجتماعي في الوطن العربي

تمهيد

1- القيم الثابتة و المتحولة

2- إشكالية الحداثة و أسئلتها

3- المصادر الثقافية للمخيلة المحلية

4- شبكات القراءة و التأويل للرابط الاجتماعي

5- الشبكة الوضعية الوظيفية

6 الشبكة التاريخانية(العصبية والرابط الاجتماعي في المجتمعات المغاربية)

7سوسيولوجيا السمو transcendance

خلاصة

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

1-الرابط الاجتماعي في عصر التنوير:

كانت المجتمعات القروسطية تعيش حالة من الظروف أشبه بالحياة الجهنمية، حيث لعبت الكنيسة المسيحية دورا سلبيا بالجملة، لأن مجالات البحث المسموح بها في ذلك الوقت كانت تخص فقط المجال الطبيعي وذلك بشرط أن لا تتناقض الاكتشافات مع مبادئ الكنيسة. خوفا على المصالح الضيقة للنظام الملكي التراتبي الذي كان سائدا، الذي يقوم على ثلاث ركائز: نبالة البلاط، نبالة الدين (الكنيسة ورجال الدين)، نبالة السيف (القيادة في الجيش).

كانت هذه المجتمعات تبرر عدم المساواة الاجتماعية، أو الفرق بين النبلاء والعامة بالإرادة الإلهية. لكن مع حلول القرن 18م كذب مفكرو عصر التنوير بصورة فعالة وملموسة هذه الرؤية، ولكن من الضروري وبإلحاح على أن أفكار هؤلاء الفلاسفة ما هي إلا إنتاج المراحل التاريخية السابقة بين القرون الوسطى من جهة والقرن 18م من جهة أخرى.

إذ كتب (روني ديكارت 1650/1596) في مؤلفه الشهير Discours De Methode الصادر سنة 1637م **" الفترة السليمة هي أفضل شيء يجمع الناس في الكون"**

يعني أن الفرد يتمتع بعد ميلاده بنفس الفضائل التي يتمتع بها غيره مهما كانت أصوله الأسرية لكن التوظيف الصالح أو السيئ لهذه الفضائل هو الذي يجعل من الإنسان إيجابي أو سلبي[1].

(1) - عبد الغني مغربي، **محاضرات مادة النظريات** ، جامعة الجزائر- بوزريعة – 2006، ص 2.

تظهر فلسفة التنوير من خلال المنظور الاجتماعي بمثابة مرحلة تاريخية هامة جداً في التطور الشامل للفكر البرجوازي الأوروبي والأمريكي فيما بعد، ويعتبر هذا الأخير حلقة حاسمة في تاريخ البشرية عامة، باعتباره أحدث أشكالا جديدة في العلاقات والروابط الاجتماعية والتفاعلات الفردية في كل المجالات. إن التعريف الأكثر موضوعية ودقة من بين التعاريف الكثيرة لحركة عصر التنوير هو الذي قدمه لنا الفيلسوف الشهير (إمانويل كانط CANT 1804/1724) « الحركة الفلسفية للقرن 18 تتميز بفكرة التقدم وعدم الثقة في السلف والتقليد والسلطة المعرفية المطلقة والإيمان بالعقل السليم والتأثيرات الأخلاقية الخاصة بالتعليم والدعوة إلى التفكير والحكم بصفة حرة » التمعن في هذا التعريف يوحي بالتحول الكبير الذي عرفته المجتمعات الغربية في أنماط الفكر والممارسة؛ التي تجسدت على أرض الواقع في نشاط التبادل المادي والاقتصادي في ظل الهيمنة التي عرفها الفكر البرجوازي.[1]

هذه المقاربة الاقتصادية من المنظور السوسيولوجي وحدها قد تمكننا من الفهم الارتباط الوثيق بين تنمية اقتصاد السوق حيث يظهر الفرد كمنهل مستقل في تدابيره وأشغاله، وأفعاله هذا من جهة، إبراز هذه التصورات للنظام المجتمعي الذي يعتبر الفرد من خلال ضميره المنبع الأول والأساسي تجاه المعرفة والنشاط وتشكل بنية التبادل نواة المجتمع البرجوازي من جهة أخرى، باعتبار أن الجانب المادي يمثل عصب الروابط المادية هذه الأخيرة تمكن الأفراد والجماعات من الارتقاء إلى الأسس الفكرية، القانونية، السياسية، الأخلاقية والايديولوجية.

(1)- المرجع نفسه، ص 3.

أ- القيم الأساسية للتنوير:

ترتكز هذه القيم على الجانب الاقتصادي وذلك لسبب وجيه يتمثل في كون الجانب المادي يمثل عصب الحياة للأفراد والجماعات، لأن الجانب المادي يعتبر القاعدة التي

أ/1-العقد: يتطلب كل فعل شراء أو بيع عملية مدعمة من قبل فردين على الأقل وتسمى الموافقة التي تتم بين إرادتين مستقلتين بالعقد.

أ/2-المساواة: يعتمد التبادل كذلك على الشرط المطلق للمساواة بين فردين أو أكثر.

أ/3-الديموقراطية: بالرغم من أن هذه القيمة شكلية في أغلب الأحيان وهذا من خلال التحليل الموضوعي لهذه الظاهرة في المجتمعات الغربية التي تصبح مستوعبة ومرسخة ضمن الطبقات الاجتماعية وتتم هذه النتيجة بواسطة بث الايديولوجية الموجودة في المدرسة والأوساط الإعلامية والمنظومة التربوية والمؤسسات الثقافية والإعلامية.[1]

أ/4-العالمية: المشتري والبائع يبحث في السوق عن شريك وذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار المميزات الشخصية.

أ/5- التسامح: لا تهم المعتقدات الدينية الأخلاقية والثقافية في العملية التي تؤدي إلى تجسيد العقد.

أ/6- الحرية: لا يتم التبادل إلا بين شريكين يتقاسمان الحرية ويتمتعان بنفس الحقوق.

أ/7- الملكية: لا يمكن أن تكون عملية التبادل ممكنة إلا إذا كان الشريكان يملكان شرعيا ثروات قابلة للتبادل. تعتبر هذه القيم من أبرز المبادئ التي ركز عليها مفكرو عصر

(1)- عبد الغني مغربي، **محاضرات مادة النظريات** ، جامعة الجزائر- بوزريعة – 2006، ص 4.

التنوير في بناء نظمهم المختلفة التي قام على أساسها النظام الرأسمالي في الغرب؛ و كانت هذه القيم بمثابة القيم الطبيعية والجوهرية بالنسبة للحياة البشرية.[1]

هذه المرحلة التي مهدت بشكل مميز للتحول الجذري الذي عرفته المجتمعات الغربية الأوروبية لتعرف العلاقات والروابط الاجتماعية شكلا جديدا يختلف تماما عن ما كان سائدا في القرون الوسطى أو ما يعرف بالمجتمع التقليدي الأوربي.

2- مفهوم الرابط الاجتماعي

يدرك علماء الاجتماع أن الحياة في المجتمع تجعل من الفرد كائن بشري في وسط علاقات وتفاعلات مع الآخرين منذ الولادة، ويشكل التضامن في كل مجالات التنشئة الاجتماعية الأساس الذي يمكن أن نسميه بالتجانس الاجتماعي – الإنسان على صلة بالآخر، والمجتمع– ليس من أجل ضمان حمايته أمام تحديات الحياة فحسب؛ بل من أجل إشباع مجموعة من الحاجيات الحيوية أدناها الحجات البيولوجة وأقصاها تحقيق الذات. يعتبر الاعتراف مصدر للهوية والوجود، الرابط الاجتماعي كمفهوم لا يمكن فصله عن وعي المجتمعات بذاتها في ظل التطور الرهيب الذي تعرفه الفردانية التي فرضت نفسها بشكل حتمي باعتبارها أحد منتجات النظام الرأسمالي.

يعد مفهوم الرابط الاجتماعي أقرب ما يكون إلى العلاقات الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعي ولكن يحمل معنى أكثر دلالة؛ بحيث يرتبط ارتباطا وثيقا بالتضامن الاجتماعي كما يعكس التجانس الاجتماعي بين الأفراد والجماعات ويحقق في الوقت نفسه الهوية الاجتماعية للفرد وكل هذا في إطار منظومة من القوانين، المعايير، والقيم التي يتفق حولها الأفراد بوعي أو دون وعي منهم، وذلك بممارسات وسلوكات ملموسة تتجسد في الواقع الاجتماعي

(1)-المرجع نفسه ص 5 .

المعاش[1] يعني في السوسيولوجيا الفرنسية مجموع الانتماءات والانخراط في العلاقة التي توحد الأفراد أو الجماعات الاجتماعية. الرابط الاجتماعي يمثل القوة التي يرتبط بها أعضاء الجماعة الاجتماعية.

هذه القوة يمكن أن تتغير مع الوقت في البيئة الاجتماعية، كما يمكن للرابط الاجتماعي أن يكون أكثر أو أقل قوة حسب السياق والوضعية التي تتواجد فيها المجتمعات، عندما يصبح الرابط الاجتماعي ضعيف أو ذو نوعية رديئة. بعض الباحثين والتيارات السياسية، يثيرون المشكل تحت زاوية «أزمة» الرابط الاجتماعي، لأن النوعية وشدة الرابط الاجتماعي يصبح كمحدد للنوعية و شدة العلاقة الاجتماعية لأعضاء الجماعة. موضوع الروابط الاجتماعية خلق مشكلة لعلم الاجتماع هذه المشكلة تعتبر من بين الصعوبات النشأة والانطلاقة الفعلية لهذا العلم خاصة من ناحية الموضوع، بحيث كان واجبا على علماء الاجتماع وقت ذاك الإجابة على السؤال التالي: هل المجتمع الذي يتكون من أفراد مستقلين يمكن أن نعتبره مجتمعاً؟.[2]

« يرتبط مفهوم الرابط الاجتماعي بشكل وثيق بوعي المجتمعات حول نفسها، أي الوعي الذي تنتجه الظروف الموضوعية بنفسها ولنفسها، فالرابط الاجتماعي يجمع بين الأفراد داخل المجتمع، من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية وباقي المؤسسات الأخرى.

(1) - Paugam Serge, « Le Lien Social :Entretien avec Serge, Paugam » Anne Châteauneuf – Malclés- 2012. In. http://ses.ens- lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136#section-0

(2) Serge, Paugam « **Le Lien Social** :**Entretien avec Serge**, **Paugam** » Anne Châteauneuf – Malclés- 2012. In. http://ses.ens-lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136#section-0

وبالتالي فإن إثبات وجود و موضوعية علم الاجتماع مرهونة بالإجابة على هذا السؤال، حيث حاول البعض منهم أن يفسر ذلك بالتقدم الذي عرفته المجتمعات الإنسانية من خلال فكرة الرابط الاجتماعي مرتبطة بنظرة تاريخية، وفي الوقت نفسه العلاقة بين الفرد وجماعة الانتماء وظروف التغير الاجتماعي على المدى البعيد، لذلك فإن الأمر لا يتعلق بكتلة من الأفراد المفصولين بقدر ما يتعلق بجدلية التغير الاجتماعي (الماضي، الحاضر، المستقبل).

في المجتمعات الريفية التضامن يتطور خصوصا على المستوى الأسري من أجل الحماية والاعتراف بالإضافة إلى الهوية العائلية التي تشكل أسس الاندماج الاجتماعي؛ الذي يعزز بدوره قيم التجانس الاجتماعي. على العكس من ذلك فان المجتمعات ذات النموذج المؤسساتي (الحديثة) تعترف بالفردانية وتمنح الأولوية للفرد مقابل الجماعة(جماعة الانتماء العرقية، الثقافية بالمعنى الواسع للكلمة) وذلك خدمة للأنظمة السائدة بالتحديد النظام الاقتصادي الرأسمالي، الذي يشجع الفرد بمعزل عن الجماعة الأصلية لكن كل فرد مرتبط بمسار تاريخي يجعله في استقلالية كبيرة مقارنة بالجماعة التي ينتمي إليها، لأن هذه الأخيرة تجبره ليُعرّف نفسه من خلالها؛ الأمثلة عن ذلك كثيرة خاصة الموظفين المتعاقدين مع مختلف المؤسسات والشركات الاقتصادية الكبيرة التي تفرض وجودها عن طريق الهوية المهنية لموظفيها أوما يعرف في علم النفس الاجتماعي بالصورة التي تُقدمها الجماعة عن الفرد.

3-أنواع الرابط الاجتماعي

أ- **رابط القرابة:** الذي يكون في الوسط الأسري بالتحديد بين الآباء والأبناء، وشكل الحماية في هذا النوع يرتكز على الحماية بين الأجيال؛ حيث الاعتراف يقوم على الجانب العاطفي.

ب- **الرابط بالمشاركة الاختيارية:** نجده بين الأزواج، الأصدقاء، والمقربون(بالاختيار)، يعتمد هذا النوع على التضامن بين الذات و الأعضاء الذين تم انتقائهم؛ حيث شكل الحماية يكون مبني على العاطفة أو التشابه المبني على التوافق السياسي، الاج، والثقافي بالمعنى الواسع للكلمة.

ج- **الرابط بالمشاركة العضوية:** نجده في الأوساط المهنية ويكون بين الفاعلين في الحياة المهنية يعمل هذا النوع على تحقيق الاستقرار في العمل وحماية عقود العمل؛ والاعتراف يكون من خلال العمل وتقدير الجانب الاجتماعي والعمل ضمن الفريق أو ما يسمى بالروح الجماعية.

د- **رابط المواطنة:** يكون بين أعضاء نفس المجتمع السياسي؛ ويقوم على حماية تشريعية قانونية تتمثل في الحقوق المدنية، السياسية، الاجتماعية في إطار مبدأ المساواة. والاعتراف يكون بالسيادة الفردية دون الخروج عن المصلحة العامة.[1]

4- علم الاجتماع الكلاسيكي والرابط الاجتماعي

أصبح ضروريا أكثر من أي وقت مضى بالنسبة للمجتمع، إدراج الرابط الاجتماعي ضمن محددات الوعي الاجتماعي، في ظل التصاعد الذي تعرفه الفردانية هذه الظاهرة التي شكلت أحد التناقضات التي وقع فيها عصر الحداثة، وبالتالي مواجهتها كان أمرا حتميا

(1)-Serge Paugam, OPCIT.

بالنسبة لهذا العصر وذلك بمحاولة الإجابة على الإشكالية التالية: كيف نجمع معاً بشكل متماسك مجتمعا أصبح كتلة من الأفراد المستقلين؟.

1/4- ألكسي دوتوكفيل(1959.1905)Alexis De Tocqueville

كان (ألكسي دوتكفيل) أول من تنبأ بخطر اختفاء العلاقات التراتبية السابقة « جعلت الارستقراطية من كافة المواطنين سلسلة طويلة تبدأ من الفلاح حتى الملك، وجاءت الديمقراطية لتكسر هذه السلسلة وتضع كل حلقة على حدا لأنه حسب (توكفيل) المساواة في ظروف الحياة تقود كل واحد إلى الاعتقاد بأنه يستطيع يحقق الإشباع لكل حاجياته خاصة المادية منها، ولهذا نتيجة هي عزلته عن مواطنيه: وكل واحد يصبح غير مُبال بالآخرين ولم يعد يهتم بالعلاقة بين مصلحته الشخصية والمصلحة العامة [1] ». ولهذا يتجه الأفراد شيئا فشيئا إلى الهشاشة في العلاقات الاجتماعية، بحيث يختزل المجتمع في كتلة من الأفراد المفصولين بالكامل عن بعضهم البعض.

وفي نفس السياق يقدم (توكفيل) بديل العودة إلى الأنشطة القروية التعاونية التي لاحظها في و.م.أ لأنه وسط هذه البيئة تذوب المصلحة الخاصة بالمصلحة العامة، بالنسبة لهذين الباحثين لا يمكن تعزيز الروابط الاجتماعية إلا بالمحافظة على دور الفئات الوسيطة.

يؤكد (توكفيل)على أهمية تسوية الشروط الاجتماعية وإضعاف الفجوة بين الطبقات، للوصول إلى محو الحدود بين الطبقات، والعمل على توسيع الطبقة المتوسطة في المجتمع الفرنسي فبالنسبة له فإن الصراعات في المجتمعات الحديثة هي صراعات مواقف وإيديولوجيات لذلك من الضروري إعادة تجديد مفهوم الفئة حسب متطلبات النظام الجديد بدلا من صراع الطبقات.

- فليب كابان، جون فرونسوا دورتيه: **علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات** (1)ط1، ت إياس حسن، دار الفرقد سوريا دمشق،2010 ص 84.

2/4-ايميل دوركايم (1858.1917) Emile Durkhiem

بالنسبة لـ (دوركايم) اندماج الأفراد في النظام الاجتماعي يمر عبر اندماجهم المباشر في عالم الشغل، ما يضمن لهم وظيفة محددة غير مستقلة عن الوظائف الأخرى (التضامن العضوي) وذلك في إطار المنفعة الاجتماعية، التي تمثل الخصوصية للمجتمعات الحديثة حيث الفوارق الاجتماعية قوية.

في كتابه ففي كتابه De La Division Du Travaille Social تقسيم العمل الاجتماعي) حاول (دوركايم) أن يدرس ظاهرة العمل بشكل مفصل حيث اكتشف ما أسماه بالتقسيم التعسفي للعمل الذي يؤجج الاستياء الاجتماعي وذلك من خلال عدم التناسب والتوافق للكثير من الوظائف مع الموظفين من الناحية الذهنية والبدنية، لكن الظرف الاجتماعية والاقتصادية الجديدة فرضت على الأفراد القبول بها بسبب حركة الهجرة من الأرياف إلى المدن التي أبعدت الأفراد عن الأرض مما أدى إلى انتشار الفقر، البطالة أو ما يعرف بالتلوث الاجتماعي في المدن.

أقام (دوركايم) صلة بين الميل إلى الانتحار ودرجة الاندماج الاجتماعي فالانتحار الأناني حسبه يتنوع تبعا لتناسب عكسي مع الاندماج العائلي، الديني، والسياسي. **يعود ظهور النزعة الأنانية إلى هيمنة النزعة المادية على العلاقات الاجتماعية.**

أ- من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي:

يحلل(دوركايم) ظاهرة العمل كونها *اجتماعية وليست اقتصادية*، بهدف خلق نوع آخر من التضامن بين أعضاء الجماعة، حيث أن المجتمعات التي يسود فيها التضامن الآلي الأفراد

كلهم متشابهون، وتقسيم العمل فيها جد ضعيف، بينما في المجتمعات حيث التضامن العضوي تقسيم العمل جد قوي، لأن الأفراد يمارسون وظائف مختلفة وبالتالي هم مستقلون عن بعضهم البعض بمرجعية جسم الإنسان كل الأعضاء مختلفة لكنها تعمل للحفاظ على حياة الكائن. في الوقت نفسه هذا النوع من المجتمعات هناك غالبا ما يعرف خلل في التوازن بين الوعي الفردي، والوعي الجماعي.[1]

وتقسيم العمل عند (دوركايم) لا يمس الجانب الاقتصادي فقط بل يمس الوظائف والمجالات الأخرى السياسية، القضائية، الفنية، العلمية، كل هذا يتمثل في التقسيم والتخصص المتزايد، كما يتبادر إلى الذهن سؤال آخر عن« ما إذا كان من الضروري أن يكون الفرد بمثابة كل يحقق اكتفاءه الذاتي أم أنه جزء من الكل أي عضو؟.... *يشكل تقسيم العمل قاعدة النظام الأخلاقي وهو منبع التضامن الاجتماعي، فواجب الإنسان يتمثل في القيام بوظيفته*[2]».

الفرد في المجتمعات الحديثة أكثر استقلالية ولكنه أكثر ارتباطا بنمط التضامن الذي يتطلبه تقسيم العمل، إذ يتلاشى التضامن الآلي، يحافظ اختصاص الوظائف على التضامن العضوي.

يكفي تصنيف أنواع القانون لإيجاد أنواع التضامن، المؤسسات إما تحكمها عقوبات قمعية قائمة على عقوبات استردادية (إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه)، المجتمعات حيث يهيمن النوع الأول توصف بالتضامن الآلي أو بالتشابه الذي يميز كل الأفراد وضعف التخصص، (مجتمعات بدائية تقليدية).

(1)- Marc Montoussé , Gilles Renouard :**100 pour comprendre la sociologie**, 4e édition , bréal, France ,2009,p 33

(2)- جان بيار دوران، روبير فايل: مرجع سابق ، ص108.

أما المجتمعات الحديثة فالقانون يهيمن بفضل هيئات مختصة وموظفين أكفاء، الوعي الجماعي ضعيف، والتماسك موجود بفعل تقسيم العمل، والحاجة إلى الآخر (التضامن العضوي).

ب- الأزمة الاجتماعية وأنومية المجتمعات الحديثة:

تقر الأزمة الاجتماعية حسب دوركايم بعدة أسباب منها:

الفردانية التي أفرزها الشكل الجديد للتضامن تؤدي إلى شتى أنواع الاختلال الوظيفي أو الأشكال المرضية (الانتحار).

«يتهدد التضامن العضوي ثلاثة أنواع من التهديدات وهي: الأزمات الصناعية والتجارية، التناقض بين العمل ورأس المال، الفوضى المتصلة بالتخصص العلمي مع غياب اختصاص موحد. وهذا بمثابة ظروف استثنائية تعرقل التضامن العضوي الذي يظهر أزمة أخلاقية وبالتالي تحولات عميقة في بنية المجتمعات، ولم تحل الأخلاق الجديدة محلها مما يؤدي إلى حالة من انعدام التوازن، والمطالبة الفردية بالعدالة (أصل الفكر الاشتراكي) هنا يجب معالجة هذه الأزمة تقنيا اقتصاديا، وإرساء تضامن تعاقدي، ومساواة في الظروف الخارجية حتى يتأسس التفاوت الاجتماعي على الاستحقاق، لا على الإرث[1]».

في كتابه الانتحار يشير إلى أن *العائلة*، الدين والمجتمعات هي المؤسسات التي تحدد هوية الفرد وكلما ضعفت أو انسحبت من أداء أدوارها هذه المؤسسات أو التنظيمات، يفقد الفرد استناده واستنتج في الأخير قانون يقول فيه "يتنوع الانتحار تبعا لمنطق معاكس لدرجة

(1)- المرجع نفسه، ص 109

الاندماج في المؤسسات الاجتماعي التي ينتمي إليها الفرد"، وباعتباره يتعامل مع الظواهر كأشياء فإنه يعتقد أن الفراغ العاطفي والوجداني والعزلة الأخلاقية الناجمين عن خلل في الاندماج الاجتماعي والانتحار ثلاثة أنواع: **الأناني:** ضعف وهشاشة الروابط الاجتماعية، **لإثاري:** عكس الأول اندماج اجتماعي قوي يتكرر في المجتمعات التقليدية والمهن العسكرية.

الأنومي: خلل اجتماعي نمطي إبان الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، فترات النمو القوي.

تناول (دوركايم) مفهوم الإصلاح الاجتماعي كبديل للأنوميا من أجل تجسيد التضامن بين الأفراد لمعالجة الأزمة الأخلاقية التي سببها التخلص الكامل من الضوابط الاجتماعية التقليدية وحلت محلها الصراعات والاضطرابات في كل المجالات «...التي يقدم لنا العالم الاقتصادي مشهدها البائس...» وما على الأفراد ألا أن يُثمنوا الحرية ويستغلونها أحسن استغلال لأنه ما من شيء خطير أكثر من التناقض بين سلطتي الضوابط والحرية الفردية.

3/4- غبريال تاردGabriel Tarde(1904.1843)

أ- مقاربة علم النفس الاجتماعي: متأثرا بتكوينه الأول في مجال القانون، ووظيفته في سلك القضاء كان منهجه مختلف كل الاختلاف عن مواطنه (اميل دوركايم) وذلك بإحداث القطيعة مع التفسير المادي، ومنهج العلوم الطبيعية في تفسير الظاهرة الاجتماعية.

«وسع (تارد) مجال أعماله في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية التي فسرها سنة (1980) من خلال الجمع بين قوتين(مفهومين) كبيرتين: التقليد والمحاكاة. إنها لعبة معقدة لعملية تكرار التعارض، والتكيف أخذاً بعين الاعتبار التغير الاجتماعي...اعتماد (تارد) على

العوامل البسيكولوجيا جعله يختلف عن (دوركايم) الذي حاول أن يفسر الاجتماعي بما هو إجتماعي...[1]»

أثارت القضايا التي تصل إلى المحاكم انتباه (تارد) الأمر الذي جعله يفكر في ضرورة وجود علم يحاول أن يعالج ويفسر هذه الظواهر؛ في كتابه " الإجرام المقارن" la criminalité comparée 1890 بدأ في تطبيق نظرية التقليد على مختلف الأحداث خاصة الإجرام؛ الذي فسره بالمحيط الاجتماعي بعيدا عن الوراثة، والفطرة بالرغم من وجود الاستعدادات الطبيعية إلا أنها ليست بالمؤثرة بفعل الجانب السيكولوجي، والاجتماعي وبشكل أكثر دقة الجماعة المرجعية للفرد.

ظاهرة الانحراف والجريمة حسب (غبريال تارد)تنتقل من الأعلى إلى الأسفل؛ من النموذج إلى بقية الأفراد.

« يشكل مفهوم المحاكاة Imitation المساهمة الجوهرية لـ (تارد) والتي ظهرت في كتابه: قوانين المحاكاة. إن المحاكاة هي تكرار نموذج سلوكي، وعنصر التكرار هو الأساس في عمليات التفاعل الاجتماعي بين الافراد والتي تشكل موضوع علم النفس الاجتماعي أصلا.[2]»

لاحظ (تارد) أن الجريمة الكبرى تختلف من مجتمع إلى آخر وفق الخصوصية الثقافية، خاصة في مرحلة ما قبل الحداثة، وعلى النقيض من الانثربولوجيا الايطالية للإجرام لصاحبها (تشيزار لومبروزو) التي تقول بوجود مجرمين بالفطرة، فإن (تارد) يعتقد أن الجريمة ليس لها معنى إلا إذا وضعناها في سياقها الزماني والمكاني.

(1) - Raymond boudon, et autres **dictionnaire de sociologie, Bussiére, France, 2005,p 232.**
(2)- خير الله العصار، مرجع سابق ، ص 76.

الإنسان حسب (تارد) لا يولد مجرما ولكن له دائما ميولات طبيعية للإجرام؛ وهي ليست السبب الأول، والوحيد في حين يعتقد أن الأسباب الأولى والحاسمة ذات طبيعة سيكولوجية، واجتماعية. (المبدأ الذي يختلف فيه مع دوركايم).

يعتقد (تارد) أن الوسط الاجتماعي يؤثر في الفرد ليصبح مجرما من خلال (العائلة، جماعة الرفاق،...) وهذا في حالة التناقض بين قيم المجتمع العادية، والمحيط الأكثر قربا من الفرد.

فكرة الجريمة حسب (تارد) تنتشر في المجتمع برمته من الطبقات المسيطرة نحو الأسفل فالسكر(شرب الخمر) كان فخامة ورفاه ملكي أرستقراطي قبل ان يصبح عادة شعبية سيئة، السرقة والاغتصاب الجنسي كان سلوكا موجودا لدى العسكر الاعلى رتبة قبل أن ينتقل إلى الجنود، وعامة الناس. متأثرا بالتفسير الفزيائي يقول (تارد) « تفترض مثل هذه النظرية أن الافراد هم انسالاتautomates تامة تحركها رغما عنها قوى تتخطاها.وفي الواقع إن استعارة العدوى متكررة أيضا عند (تارد). فكما أن السيالة الحيوية تمر من خلايا.فان التقليد ينتشر من وعي إلى وعي. [1]»كما أن الجريمة يمكن أن تكون جماعية بفعل الانسجام السيكولوجي بين الافراد وعملية التقليد التي تنتقل من فرد لآخر بشكل طبيعي (مظاهرات...أعمال شغب...جريمة)، ويمكن للجريمة أن تحدث بشكل منظم، ومهيكل بقواعد وقوانين تحكمها مثل: جماعات المافيا الايطاليا حيث يحكمها أشخاص يتأثر بعضهم ببعض، كما يمكنهم التأثير على جماعات أخرى لإنتاج نفس الممارسات.

انتقلت السوسيولوجيا التي نشأت في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى و.م.أ بحلول القرن العشرين؛ بالخصوصية الثقافية لهذا المجتمع الذي عرف وقت ذاك حركية اقتصادية متميزة مما استقطب موجة من الهجرات من كل القارات الأخرى، بحيث

(1)- فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، مرجع سابق ص 66.

أحدثت هذه الظاهرة تحولات في البنية الاجتماعية، وأنتجت الكثير من الظواهر؛ الأمر الذي فرض على علماء الاجتماع محاولة فهم و معالجة هذه الظواهر، وذلك بالاستعانة بالتراث النظري الأوربي ولكن بتكييف هذه النظريات حسب الخصوصية الثقافية للمجتمع الأمريكي وأصبح علم الاجتماع يتصف بمميزات جديدة خاصة ما يعرف بالبرغماتية والمهارة السوسيولوجية خارج الجامعة.

4/4- ماكس فيبر(1920.1864)Max Weber

يركز (ماكس فيبر) على أهم العوامل التي بإمكانها تمزيق النسيج والتجانس الاجتماعي للمجتمعات الغربية وهي نتيجة أخرى للحداثة أو ما أسماه بالتمايز الاجتماعي من ناحية (الاقتصاد،الدين، القانون، العلم) مما يؤدي إلى إنتاج أنساق وقيم ومعايير نوعية بالنسبة للأفراد الذين تبنوها مهددة بالدخول في صراع بينها هنا يتكلم (فيبر) عن **تعدد آلهة القيم**

ففي عالم دنيوي علماني لم تعد هناك قيمة واحدة يمكن أن تفرض نفسها بالكامل على الجميع، لأن اختيار القيم موضوع قرارات شخصية لا يمكن بعيدة عن العقلانية. وهكذا فإن المجتمعات الحديثة تعاود بناء صراع القيم أو ما يعرف بـ: **حرب الآلهة** في المجتمعات القديمة.

« تفسير الطابع العقلاني للاقتصاد الرأسمالي مزيد من المال مع العزوف عن الملذات العفوية للحياة "اكتساب المال حرفة": مظهر من مظاهر العقلانية، الكالفينية: كانت ترفض فكرة الكنيسة الضامنة للخلاص هي التي أسرعت في مسار عقلنة العلم على أساس أن كل فرد يرى نفسه بمفرده أمام الرب، ومن هذا المنطلق تتحول المجهودات إلى عقلنة العالم

إجلالا لعظمة الرب، النجاح في الحياة المادية علامة على اصطفاء المؤمن وبالتالي العقلانية الاقتصادية والسياسية بمثابة فائدة دينية ودنيوية[1]».

التحول العلماني والتحول التقني للفكر يضعان نهاية العالم الأساطير والمعتقدات الدينية، وهذا هو معنى الصياغة الجميلة لـ (فيبر) حول "نزع السحر عن العالم".

أبرز (فيبر) أثر التوجه القيمي للمذهب البروتستانتي عل ظهور الرأسمالية داخل المجتمعات الأوروبية المعاصرة ليس السعي نحو تحقيق الأرباح [2]»، إنما العمل أولا كقيمة اجتماعية، والعقلانية في الإنتاج والاستهلاك، وكان إدراج (فيبر) للأخلاق الدينية في الاقتصاد كان بهدف إحداث نوع من التوازن بين ما هو مادي، وما هو روحي بالإضافة إلى تحسيس الأفراد بضرورة الالتزام بالأخلاق البروتستانتية في الممارسة الاقتصادية الأمر الذي يحقق الرقابة الذاتية النابعة من العقيدة، وذلك كإضافة للرقابة والقانون الوضعي الذي يجب أن يطبق بكل صرامة.

ينتقد (فيبر) الطرح الماركسي وذلك باعتماده على عوامل أخرى غير مادية في تفسير العلاقات والروابط الاجتماعية بين الأفراد، والجماعات مثل النظام الديني، الأخلاق، أو ما يعرف بالجانب الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة. عكس النظرية الماركسية التي ترى أن الدين والقيم، والأفكار، والفلسفات، والايديولوجيات ليست سوى عناصر البناء الفوقي للمجتمع أو علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج في المجتمع.

- جان بيار دورن ، روبير فايل ، **علم الاجتماع المعاصر**،ترجمة ميلود طواهري،ط1 ابن النديم للنشر والتوزيع ، (1)الجزائر،2012 ، ص 90،91.
(2)- وسيلة خزار، **الايديولوجيا وعلم الاجتماع، ط1**، منتدى المعارف، بيروت، لبنان153.

5/4- كارل ماركس (1883.1818)Karl Marx

ما من باحث يريد البحث في مواضيع العدالة الاجتماعية، المساواة، الاقتصادية، وتوزيع الثروة إلا وخضع للبحث ودراسة أعمال (ماركس) حول نظرية الطبقات" لم يكن هذا التحليل (تحليل المجتمع من خلال الطبقات الاجتماعية)، بل سبقه عدد من الباحثين الو مثل (آدم سميث، وألكسي دوتوكفيل) (المجتمع طبقات اجتماعية)، (مواقع السلطة، المصالح المتباعدة). ولكن (ماركس) جعل من الصراع الطبقي محركاً لتاريخ البشرية.

ولفهم التحليل الماركسي لابد من معرفة المجتمع الذي عاش فيه، لقد أحدثت الرأسمالية انقلابا في المجتمع الإقطاعي، الذي كونته ثلاث مراتب: الفلاحون الارستقراطيون، ورجال الدين. لذلك يركز ماركس على ضرورة طرح أكثر من بديل في أي نظام اجتماعي من أجل ضمان الاختيار؛ «طرح مجموعة من التطورات، والاختيارات الإنتاجية للإنسان سيكون لك شكل من أشكال التجارة، والاستهلاك؟...طرح بعض الدرجات من التطور، والإنتاج، والتجارة، والاستهلاك، سيكون لك شكل من أشكال الدستور (أو القانون) الاجتماعي، تنظيم اسري معين، نظم أو طبقات، في كلمة مجتمع مدني معين. [1]»

ومع تطور التجارة والصناعة خاصة ظهرت طبقتان جديدتان:

-**البرجوازية:** التي زعزعت النظام السابق واحتلت مكانا مهيمنا، هذه الطبقة بدورها تنقسم إلى طبقتين؛ البرجوازية الصغيرة وهي فئة ضبابية تتكون من التجار الصغار، الأطباء، والمحامون، الأساتذة، والإداريين، وكافة الموظفين. أو ما يعرف بالطبقة الوسطى، أما الفئة الثانية فهي التي تملك وسائل رؤوس الأموال، ووسائل الإنتاج. بعبارة أخرى هي الفئة التي تتحكم في وسائل الإنتاج المادية والعقلية.

(1) -Jean Pierre Delas, Bruno Milly, OP CIT. P 131.

– **البروليتاريا:** التي تتمثل في الحرفين والفلاحين الذين طردوا من الأرض وأصبحوا القوة الرئيسية في الشركات الصناعية الكبيرة.

وكانت ظروف وأوضاع هذه الطبقة ميدان خصب للدراسة والبحث بالنسبة لمجموعة من الباحثين من بينهم (ماركس) (ساعة العمل (12 –16 ساعة): استغلال الأطفال، الإدمان، الفقر أو الإفقار. التفسخ الأخلاقي للطبقة العاملة، وبالتالي كان مشروع ماركس فهم دينامية صراع الطبقات أكثر منه وجود الطبقات أو وصف حالتها، فهو يحدد الطبقات عن طريق موقعها من علاقات الإنتاج، 90% من البروليتاريا عمال مدفوعي الأجر، وما يهم (ماركس) كما سبق الذكر ليس التراتب الطبقي الاجتماعي بل دينامية المجتمع حول صراع مركزي بين البرجوازية والبروليتاريا، فالبرجوازية: تسعى بعطشها للربح إلى الاستغلال المتزايد للبروليتاريا، وهذه الأخيرة المحكومة بالإفقار والبطالة المستمرة، ليس لها من مخرج سوى التمرد الفردي أو الثورة.

« إن نمط الإنتاج في مجتمع ما يتألف من القوى المنتجة (الناس الآلات والتقنيات) ومن علاقات الإنتاج (العبودية، الحرفية، المأجورة) يشكل نمط الإنتاج هذا القاعدة التي تقوم عليها البنى الفوقية السياسية والقانونية الإيديولوجية في المجتمع...وبوصولها إلى درجة معينة من التطور فإن القوى المنتجة تدخل في صراع مع علاقات الإنتاج. ومن هنا يبدأ عصر الثورة الاجتماعية.[1]» مشيرا بذلك إلى صراع الطبقات في نظام سياسي اقتصادي تحكمه الطبقة البرجوازية، وتملي عليه كل ما يجب القيام به من أجل الحفاظ عل النظام السائد من خلال جملة من الاستراتيجيات في مختلف المجالات المجتمعية.

«الأفكار قوى مادية عندما تستولي على الجماهير "كتب في بيان الحزب الشيوعي" كان لماركس حس عميق بالترابط الجدلي بين القوى الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجيا في

(1) - فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه، مرجع سابق، ص 36.

دينامية التاريخ، إن القوانين الاقتصاد الرأسمالية... تحرض أزمات تستطيع أن تخلق تمردا أو استسلاما أما الثورة البروليتاريا فهي إمكانية تاريخية، وليست نتيجة لا محيد عنها. [1]»

الصراع الطبقي حسب (ماركس) هو المحرك الذي من خلاله تنتقل المجتمعات من مرحلة إلى أخرى وتنتصر في النهاية أحد الطبقات لتبني نظاما جديدا للإنتاج يحمل في داخله بذور فنائه، استمرار هذه العملية الديالكتيكية في المجتمع الرأسمالي سيؤدي إلى حتمية الصراع بين طبقتين، الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج، وطبقة البروليتاريا أو العمال فمن خلال الوعي الطبقي ستنتصر البروليتاريا ليسود النظام الاشتراكي الذي يتميز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، ويسلم في النهاية لمجتمع بلا طبقات.[2]

للتخلص من مظاهر الاستغلال، الإقصاء، التهميش، والجشع الذي تتميز به البرجوازية.

6/4-جورج زيمل (1858-1918)George Simmel :

يعد (زيمل) من بين الرواد الألمان الأوائل الذين أعطوا للسوسيولوجيا « محتوى دون ضبابية، .محكوم بإشكالية، وبأسس منهجية مؤكدة»

كان زيمل من بين العلماء الذين يسعون إلى الالتزام بالموضوعية في الطرح وتحليل العلاقات والتفاعلات الاجتماعية: « وبعد الكشف بهذا الشكل عن الميل الثابت للتحقق الموضوعي objectivation الصريحة للعلاقات الاجتماعية فقد شارك (زيمل) بالكامل في التحليلات التي تبحث عن كشف النقاب عن مجرى الصيرورة الإنسانية الذي ينسج منذ ثورات القرن 18 الكبرى، والقرن 19 وكمفكر للحداثة، ينظم إلى (ماركس) حين يعزو

(1)- المرجع نفسه، ص 38.
(2)- وسيلة خزار، مرجع سابق ص 137.

مسؤولية الانعزال والاغتراب الإنسانيين إلى تقسيم العمل. لكنه يتركه كي يلتحق باليوتوبيات الشاعرية التي تهدف إلى إحلال عمل فني فردي محل أي عمل مصنوع.[1]».

أما بالنسبة للأشكال الاجتماعية التي درسها بشكل مباشر، والتي بسببها لُقب بـ:(Le Sociologue De Modernité) نذكر: المهاجر، النقود، الموضة، أو ما يعرف بسوسيولوجيا الأشكال، التسمية توحي بأن أعمال (زيمل) تصب في جوهر العلاقات و الروابط الاجتماعية.

أ-سوسيولجيا الاشكال: كان (زيمل) متأثرا كغيره من المفكرين بالظروف التي كانت سائدة في أوروبا أنذاك. خاصة ما يعرف بالنزعة الفردية ذلك ما جعله يركز على مفهوم **التمايز الاجتماعي** لأن الحياة الاجتماعية سلسلة من العلاقات الاجتماعية التي لا تتوقف، واختصر ذلك في مفهوم **الفعل المتبادل** الذي يعكس التأثير والتأثر، وهو فعل موجه بمجموعة من الدوافع المختلفة (الغرائز الجنسية، المصالح العلمية، المعتقد الديني، العمل ....) هذه الكلية المتحركة دوما هي التي تساهم في توحيد كل الأفراد في المجتمع.

يصنف (زيمل) كونه الأب الجهول للسوسيولوحيا التفاعلية وذلك نتيجة تركيزه الشديد على التفاعل **الخلاق**. لأن إنتاج مجتمع بهذا المعنى هو المصدر المؤسس **للترابط الاجتماعي**، وعلى العكس من **(دوركايم)** ينحاز **(زيمل)** إلى صيرورة المجتمع وليس إلى الضغط الذي يمارسه المجتمع لذلك يتناول مفهوم التنشئة الاجتماعية بأكثر حرية دون أن يغفل عن البنيات المهمة التي تدفع إلى إعادة الإنتاج الاجتماعي.

« ...الموضة تعبير عن النزعة الفردية الحديثة ودون أن نتوقف مع ذلك عن فحص الفروقات الطبقية. تكشف ربما بشكل أفضل من أي شكل آخر جوهر دينامية الاجتماعي.

(1) - فليب كابان مرجع سابق ص 74.

تسمح الموضة في الواقع بالتفرد(الحاجة إلى التميز) دون الانفصال عن زمر الانتماء(الحاجة إلى التماسك). فهي شكل للحياة، من أشكال أخرى كثيرة، يسمح بأن يجتمع في فعل موحد الميل إلى المساواة الاجتماعية والميل إلى التمايز الفردي. أي إلى التنوع.[1]»

« يرى (زيمل) أن النقود قد أدت من الناحية التاريخية في تحديد، ليس فقط قيمة الأشياء، بل كذلك الناس. لقد ساهمت النقود في الحرية الفردية، لكن أصبحت غاية بذاتها وهي تساهم كذلك في تراجيديا الثقافة الحديثة حيث قيمة الأشياء تفوق قيمة الأشخاص.[2]» لأن النقود ظاهرة أنتجتها الحداثة بالإضافة إلى كونها من أهم العناصر التي تقوم عليها الديمقراطية؛ لكنها في الوقت نفسه جردت العالم، والمجتمعات من القيم الأخلاقية كما ساهمت في انتشار العنف، التبذير، والصراع...إلخ. لكن التأثير الأكثر مدعاة هو أنه من خلال تدمير الكيفي لصالح الكمي، فهي تميل إلى تسوية القيم في حدها الأدنى.

ب-تراجيديا الثقافة:

يتناول (زيمل) الظواهر والتناقضات التي أنتجتها الحداثة كغيره من المفكرين في تلك المرحلة، لكن تبقى خصوصيته، وبصمته المتميزة من خلال نوعية الظواهر التي حاول معالجتها والتي تجسد بحق معلم التحول الذي عرفته المجتمعات الغربية مثل ظاهرة النقود، الهجرة، الموضة، حيث تناول هذه الظواهر بالدراسة النقدية، والتحليل الموضوعي خاصة عندما فكك التناقضات التي وقع فيها عصر الحداثة، والمقارنة بين النظام الاجتماعي التقليدي، والحديث في إطار تراجيديا الثقافة من وجهة نظر أن هذه الأشكال الاجتماعية من التفاعل تتطور مع الوقت لتفرض نفسها وتتحول إلى قوانين خارجة عن السيطرة ذلك

(1) نفس المرجع ص 73، نقلا عن: زيمل "العالم" 1895 في التراجيديا والثقافة ،ريفاج1988.
(2) نفس المرجع ص 75.

ما يجعلها تعمل بمنطق الاستقلال الذاتي إلى درجة أن تصبح غريبة عن الأفراد الذين أنتجوها.

يرى(زيمل) العلاقات الاجتماعية شاكلة الجسر الذي يربط والباب الذي يفصل، فهي علامات لميول متضاربة نحو التماسك والانفصال، تتأثر هذه العلاقات بالظروف المجتمعية العامة في إطار الصيرورة الخاصة بكل مجتمع.

7/4- هربرت سبنسر(1820-1903)Herbert Spencer:هل يمكننا الحديث عن (سبنسر) بنفس القدر مع آخرين مثل(سان سيمون)، (ماركس) ؟ وكل ما تحمله أعمال هذين العالمين من التقلبات في المعاني، وتعدد التفسيرات لما وراء الكلمات؛ (السبنسرية) لم تفرض نفسها كتوجه محدد لأن (سبنسر) ، ولد في انجلترا ويعتبر أحد العمالقة في علم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر، فقد سجل نفسه ضمن تيار واسع، ومهيمن في عصره، التطورية التي أصبح فيها مفسراً من الطراز الأول... (سبنسر) فرض بصمته في تركيبة التطورية الاجتماعية[1].

بالرغم من نزعته التطورية وتأثره بالمنهج البيولوجي إلا أنه ظل وفيا للمبادئ الثقافية للمدرسة الانجليزية، وذلك من خلال الالتزام بالواقعية، في تحديد موضوعات علم الاجتماع الأمر الذي ساعد على تحديد معالم هوية هذا العلم في الوضوح وتحقيق الاستقلال.

« حيث يفسر لنا نمو التنظيم السياسي من خلال فكرة الصراع ؛ فالمجتمعات تبدأ عنده بالحالة الحربية حيث يكون هناك صراع مستمر بينها، ما يؤدي بالمجتمعات أو الجماعات المتجاورة إلى الاتحاد تحت تنظيم سياسي مشترك قادر على أن يكفل لها الحماية ضد

(1)- Mostaefa Boutefnouchet, Introduction A La Sociologie, les fondements, OPU ,Aleger,2004, p 63.

هجمات المجتمعات الأخرى...تتطور حتى تصل إلى المرحلة الصناعية المتطورة والمعقدة[1].

تعددت المواضيع التي تطرق إليها (سبنسر) حيث كان من المدافعين بشدة عن مبدأ دعه يعمل دعه يمر، وكذا عن الحرية الفردية، وقانون البقاء للأصلح،كما أن نظريته في الأخلاق تعتبر أن السلوك الأخلاقي هو ما يحقق للفرد اللذة، ويبعده عن الألم، وبالتالي العمل بمعيار المنفعة أو البرغماتية .

« تظهر ايديولوجية (سبنسر) على خلاف (كونت) حيث يعتقد أن الطبيعة من تلقاء نفسها تميل إلى التخلص الطالح، وتحتضن الأصلح، وهذا التوجه يعني في النهاية الدفاع عن الأوضاع الراهنة، وتبرير لفظائع المد الاستعماري، وتبريرا ملحوظا للمنافسة الاقتصادية الصارمة في إطار النظام الرأسمالي العريق الذي كان يسود إنجلترا.[2]»

الاستيعاب الحقيقي لأي نظرية سوسيولوجية كانت يمر عبر خطوة جد مهمة لا يمكن تجاوزها لأنها تعتبر جوهر الفهم الحقيقي هذه الخطوة تتمثل في محاولة كشف الجانب الخفي في النظرية وهو الايديولوجية التي يمكن من خلالها ان يكون الباحث قاعدة معرفية بمثابة جهاز للمناعة الفكرية، من أجل مساعدة المجتمع الذي ينتمي إليه في ظل المد الاستعماري الجديد.

8/4- فلفريدو باريتو .(1848.1923)Vilfredo Pareto

تكون في الفيزياء، كما عرف بالاقتصادي الهامشي، وصنف كذلك من بين أهم علماء الاجتماع، نشر أطروحته في علم الاجتماع العام سنة 1916. حيث تناول في هذا المرجع

(1)- وسيلة خزار، مرجع سابق، ص 140.
(2)- وسيلة خزار، مرجع سابق، ص 140

المميز موضوع النخبة، ويعتقد أن هذه الأخيرة يجب عليها أن تتحمل السلطة السياسية، ويجب عليها في الوقت ذاته أن تقود المجتمع السياسي.

يميز (باريتو) بين ثلاثة أنواع من رجال السياسة؛ الفئة الأولى هي التي تتنافس في ممارسة السلطة، وتبحث الثراء، هي الفئة التي تظهر من خلال التنافس وذلك بإدماج شخصيات جديدة، وإبعاد شخصيات فقدت مصداقيتها وهي نخبة سلطوية تخاطر دائما بفقدان الشرعية. الفئة الأخيرة هي الفئة النخبة غير السلطوية مرشحة في حالة انسحاب الفئة الأولى والثانية لأخذ مكانها في الحكم. التداول حسب (باريتو) لا يمكن تجنبه ولا يمكن بأي حال من الأحوال القضاء على هيمنة النخبة؛ لأن النخبة الجديدة لا تتميز عن القديمة إلا بالمهارة في التسيير والحكم [1].

في وقت ليس ببعيد عن (إميل دوركايم) جعل (باريتو) مسألة تحديد هوية علم الاجتماع شغله الشاغل، حيث اعتبره علم منطقي تجريبي، في سعيه لوضع الحدود المنهجية لعلم الاجتماع، والتمييز بينه وبين العلوم الأخرى رفض رفضاً مطلقا دراسة الظواهر الاجتماعية من جانب واحد فقط. او تلك التي تؤكد تبعية مختلف الظواهر إلى ظاهرة كلية وحيدة. وهذا من منطلق ان مختلف الظواهر الاجتماعية تتساند فيما بينها تساندا وظيفيا. كما أكد على ضرورة تفسير للظواهر الاجتماعية بظواهر في التخصصات الأخرى مثل الاقتصاد.

يظهر بشكل جلي في نظرية النخبة لـ: (باريتو) أنها نظرية زاخرة بالاتجاه المحافظ، ويظهر عدائه للاتجاهات الاشتراكية، وقد ذهب في عدائه إلى ابعد ما ذهب إليه (دوركايم).

يختلف (باريتو) عن (ماركس) في التوجه الايديولوجي وهذه ابرز مظاهر الاختلاف:

(1)- Marc Montoussé , Gilles Renouard, **OPCIT**,p 40.

– نظرة ماركس للإنسان انه عاقل وقابل للكمال، بينما يعتقد (باريتو) انه انفعالي وعاطفي عاجز عن تغيير الأوضاع.

– صراع الطبقات عند (ماركس) صراع مؤقت ومحرك للتاريخ كما أن الصراع ضروري لتطور الحياة الاجتماعية، في حين يرى (باريتو) أن الطبقات وصراعها أبدي، والتاريخ البشري ليس تاريخا تقدميا، وإنما هو تاريخ دائري إلى حد كبير.

– الاختلاف بين الأفراد عند (باريتو) يكمن في الطبيعة السيكولوجية، اما (ماركس) فيرى الاختلاف في العوامل الاقتصادية، والاجتماعي. تنتمي النخبة إلى الطبقة البرجوازية (باريتو) لأنها الطبقة الوحيدة المتوازنة بطبيعتها. وهي التي تحتفظ بأكبر قدر من الالتزام الخلقي بمعنى أنه حكم على الطبقات الدنيا أن تبقى كما هي ولا يمكنها الحكم أبدا.[1]

يبدو أن (باريتو) الذي كان في مرحلة الشباب مدافعا عن الطبقات الكادحة، ويهاجم البرجوازية تحول بشكل مفاجئ إلى اشد الأعداء للفكر الاشتراكي، والنزعة الإنسانية في الفلسفة، البعض فسر ذلك بوصول (موسوليني) إلى الحكم. ويشير (زايتلن) إلى أننا « لا نعرف الأثر الذي تركه (باريتو) في موسوليني) وما إذا كانت هناك علاقة شخصية بينهما.

تتعرض فئة العمال إلى الكثير من المشاكل والصعوبات في ظل التنامي غير المسبوق للمجتمعات الصناعية من حيث كثافة ساعات العمل وعدم الاستقرار الوظيفي بحيث كان يسود اعتقاد لدى أرباب العمل أن العمال هم السبب في عدم بلوغ التنظيمات للأهداف المسطرة، لذلك أصبح العمل بعقود محددة المدة هي الصيغة الأكثر انتشارا مما سبب قلقا كبيرا في أوساط هذه الفئة حيث المصير المهني مجهول وغير مضمون الأمر الذي أثر سلبا على العلاقات الاجتماعية التي ترتبط بعالم الشغل.

(1)- وسيلة خزار، مرجع سابق، ص 149.

فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حاولت الدراسات السوسيولوجية الكشف عن واقع ظاهرة العمل في الدول الغربية الرأسمالية حيث كشفت الكثير من التناقضات من بينها الاستقلالية التي يشعربها العمال تجاه مسئوليهم، ولكن تقسيم العمل والتخصص والتكليف الوظيفي، زائد الكثافة والصرامة خلق إرهاق نفسي، وبدني كبيرين لدى العمال. ظروف العمل هذه قللت من فرص الاندماج الاجتماعي وجعلت الروابط الاجتماعية تعرف حالة من الضعف لم تكن عليها في المجتمعات التقليدية. لذلك نجد نوع من الاتفاق بين الرواد الكلاسيكيون حول أهمية العمل والجانب الاقتصادي بصفة عامة بالنسبة للأفراد والجماعات في إرساء معالم الإنسانية من التعايش، والتضامن، والانسجام الاجتماعي، لكن كل واحد منهم بتصوره الايديولوجي الخاص.

5- الحداثة وما بعد الحداثة:

1/5- الحداثة

الحداثة تشير مرة واحدة إلى مرحلة من تاريخ البشرية في القارة الأوروبية، ومجموع الظواهر التي برزت في ذلك الوقت (نهاية القرن 17وبداية القرن 18). مع التقاء الثورات الثلاثة الفكرية، الفرنسية، الصناعية انتقل المجتمع الأوروبي بأكمله من نمط اقتصادي إقطاعي إلى النظام الرأسمالي، ومن نظام حكم ملكي إلى نظام جمهوري، ومن خطاب ديني مطلق يقيد العقل والفكر إلى معيار العلم والمعرفة النسبية مع الفكر العلماني.[1]

بدأت معالم التحول في البناء الاجتماعي تتجسد في قيم وظواهر على ارض الواقع منها تقسيم العمل والتمدن، خروج المرأة إلى العمل، الهجرة ، الطبقات الاجتماعية؛ وموازاة مع ذلك ظهرت قيم جديدة فالعقل أصبح المعيار الذي يخضع له الجميع، الحرية، المساواة، حقوق الإنسان، المواطنة...الخ.

هذا التحول، وهذه المرحلة أطلقت عليهما تسمية عصر الحداثة، الذي يعتبر موروث سوسيولوجي، أو بعبارة أخرى شكلت هذه الظواهر موضوع للدراسة والبحث لهذا العلم الذي يعتبر المختصين ابن الحداثة.

انقسم علماء الاجتماع إلى مؤيد ومعارض حيث كان يعتقد المحافظون أن هذا العصر بمثابة الكارثة لأنه قام بتمزيق النسيج الاجتماعي للمجتمع الأوروبي الذي كان سائدا في العهد القديم رغم الظروف الصعبة التي سببها النظام السابق إلا أن التضامن والتجانس الاجتماعي من أبرز سمات تلك المرحلة، في المقابل وصف اللبراليون الحداثة بالعصر

(1) - Raymond boudon, et autres **dictionnaire de sociologie, OPCIT ,** p 155.

الذهبي حيث تعتبر الحرية، المساواة والتخلص من سيطرة الكنيسة من أبرز القيم التي افتكها المجتمع الأوروبي.

تناول المؤسسون الأوائل لعلم الاجتماع هذا العصر بالدراسة والتحليل وتوصلوا إلى مجموعة من التناقضات التي وقعت فيها الحداثة ابرزها:

– طرح (اليكسي دو توكفيل) ثنائية الارستقراطية والديمقراطية فالمطالبة بالمساواة في الظروف وشروط الحياة توفر أفضل الفرص فهي تقود الأفراد إلى البحث عن السعادة لكنها قد تؤدي إلى الفوضى كما إلى الاستبداد من أجل التحكم في المجتمع وفرض النظام وتكون مشكلة الديمقراطية في التوفيق بين الحرية والمساواة.[1]

– النزعة الفردية عند (دوركايم) كانت بمثابة الانطلاقة الفعلية لظاهرة الحداثة فتقسيم العمل بشكل متزايد، يؤدي إلى فوارق اجتماعية واقتصادية كبيرة، الأمر الذي ينعكس سلبا على الاندماج الاجتماعي للأفراد، الطبقية من جهة والعزلة الاجتماعية من جهة أخرى يجعل الأفراد يتشابهون في صفة البشرية فقط وليس الإنسانية؛ مما يجعل إمكانية الانتحار لدى لأفراد احتمالات واردة حسب درجة الاندماج الاجتماعي.

– يثير الأب المجهول للتفاعلية الرمزية (جورج زيمل) ثنائية المدينة والريف؛ حيث تحرر المدينة الأفراد من الرقابة الاجتماعية حيث تغيب صلة القرابة والضمير الجمعي وتهيمن المصلحة الخاصة على المصلحة العامة في نفس الوقت تمنح المدينة مستوى من الاستقلالية فالأدوار ليست مقدرة منذ الولادة إنما يتم اختيارها بحرية في سياق الحياة والظروف، في المقابل مستويات الرقابة الاجتماعية مرتفعة ومقيدة لأفرد في الوسط الريفي

(1)- فليب كابان، جون فرونسوا دورتيه، مرجع سابق.

ولكن الفرد يحصل على الرعاية والتكفل بعيدا عن الانحراف باعتبار هذا الوسط يسوده التضامن الاجتماعي.

– استعمل (ماكس فيبر) مفهوم آلهة القيم، باعتبار أن الأفراد في عصر الحداثة يختلفون كل الاختلاف في القيم التي يحتكمون إليها في سلوكاتهم ففي عالم دنيوي علماني لا يمكن لقيمة واحدة أن تفرض نفسها بالكامل على كل فرد، هذه القيم بمثابة الآلهة (عند ماكس فيبر) لذلك تنبأ بحرب الآلهة، أو الصراع نتيجة ظهور قيم ومعايير جديدة.

هذه التناقضات هي أفضل ما يمكن أن يصف لنا هذه المرحلة من تاريخ المجتمعات الأوروبية، التي كان لها الأثر الكبير على بقية المجتمعات في كل أنحاء العالم ومازالت أثار هذه الظاهرة موجودة في المجتمعات الغربية وبقية المجتمعات الأخرى رغم مجيء مرحلة ما بعد الحداثة التي تسع بجهد للقضاء على ما سبقها.

2/5 ما بعد الحداثة:

في محاضرة ألقاها سنة 1980 أثناء منحه جائزة (تيودور أدورنو) في فرانكفورت تحت عنوان: الحداثة في مقابل ما بعد الحداثة. حيث أشار(يورغن هبرماس) إلى أن ما بعد الحداثة تقدم نفسها في صورة تعادي الحداثة، واخترق هذا المفهوم كل مجالات الحياة الفكرية بوصفه لتيار شعوري اجتاح عصرنا، ويتضمن نظريات عن ما بعد التنوير، وما بعد الحداثة بل ما بعد التاريخ أيضا، هذا ما يؤكد الصراع القائم بين المراحل التاريخية التي مرت بها البشرية حيث أن كل مرحلة تقوم على أنقاض مرحلة أخرى.[1]

(1)- بيتر بروكر: **الحداثة وما بعد الحداثة**، تر:عبد الوهاب علول، مراجعة، جابر عصفور، ط:1، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي –الإمارات العربية المتحدة–1995.ص 52.

مصطلح modern بصورته اللاتينية modernus استخدم لأول مرة في أواخر القرن الخامس لتمييز الحاضر الذي أصبح مسيحيا عل المستوى الرسمي عن الماضي الروماني الوثني، ويعبر المصطلح modern عن الوعي بحقبة تتصل بالماضي ويعد نتيجة للانتقال من القديم إلى الجديد، وشاع استخدام مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة في الأربعينات[1] والخمسينات من القرن الماضي كما شاع استخدامهما كذلك في العقد التالي كمصطلحين تنظيمين في الأعمال النقدية التي ترصد أدق التغيرات التي تطرأ على المعايير الثقافية.

كما أشار (عبد الوهاب المسيري) إلى مفهوم ما بعد الحداثة كونها مصطلح نفي سلبي، ترجمة لـ: post– modernisme، وقد تستخدم كلمة post modernité للدلالة على الشيء نفسه، وأحيانا يطلق على مصطلح (ما بعد الحداثة) تعبير (ما بعد البنيوية) بالانجليزية post structuralisme. باعتبار أن فلسفات ما بعد الحداثة يترادف ومصطلح (التفكيكية) وللتمييز بينهما، يمكن القول أن ما بعد الحداثة هي الرؤية الفلسفية العامة أم التفكيكية فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة، فهي تقوم بتفكيك الإنسان[2]

تم تفسير الحداثة وما بعد الحداثة وفقا للمثل الفكرية والايديولوجيا الغربية حيث ترتبط ما بعد الحداثة بصورة وثيقة بالتطورات التي شهدتها المجتمعات الرأسمالية الغربية فيما بعد الحرب، ولأن الولايات المتحدة لا تزال تمثل الحالة النموذجية لهذه المجتمعات، وإذا جمعنا المفهومين معا الحداثة وما بعد الحداثة يمثلان خصوصية ثقافية غربية (أوروبية أمريكية) بامتياز.[3]

(1)- المرجع نفسه ص 54.

(2)- المسيري عبد الوهاب، التريكي فتحي. الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ، ص 2003، ص 81.

(3)- بيتر بروكر، المرجع السابق، ص 65.

تعتبر النزعة الاستهلاكية من أبرز السمات التي تميز مرحلة ما بعد الحداثة، والاستهلاك في هذه المرحلة لا يقتصر على المنتوجات الاقتصادية فقط، إنما يتجاوزها إلى الاستهلاك الإعلامي، الفكري، الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة؛ هذه النزعة التي لا تستطيع إلا أن تكرر نفسها وتشكل ضغطا رهيبا على الأفراد والجماعات، من خلال عملية التسابق نحو تحقيق أكبر دخل ممكن، من أجل إنفاقه فيما بعد، وتكون عملية الإنفاق في بعض الأحيان على منتوجات لا يكون الأفراد بحاجة إليها بتأثير من وسائل الإعلام، والإشهار الذي يدفع الأفراد إلى ذلك، بالإضافة إلى الاستهلاك الفكري والايديولوجي الذي تحتويه البرامج الأخرى من مسلسلات وأفلام، وحصص، وأخبار حيث يصنع البعض منها منتوجات بعيدة كل البعد عن الواقع وأقرب منها إلى الوهم في الشخصيات، والسناريوهات، كما تقدم بعض الوسائل، والمواقع التواصل مواقف من القضايا الراهنة التي يعرفها العالم من حروب وبؤر الصراع لا علاقة لها بالحقيقة، ويمثل تعدد الأخبار والسبق الإعلامي المنتشر بشكل رهيب بمثابة اللاخبر إلى درجة لا يمكن التميز الحقيقة، والكذب.

المادة الإعلامية التي تقدمها الكثير من القنوات و الوسائل تتميز بدرجات كبيرة من العنف، التفاهة، الانحلال الأخلاقي تجعل الأفراد والمجتمعات يقعون في الاعتيادية la normalisation والاكتساب اللاواعي حيث يفقد الأفراد المناعة الثقافية وتنعدم لديهم القدرة على التمييز والتوقع .

بالرغم من المحاولات للبعض في هذه المجتمعات تفادي الانزلاق في الأسطح الملساء لما بعد الحداثة، والحفاظ على بصيص من الأمل المتبقي في بعض الجوانب الفكرية، والسياسية، الفنية الرفيعة إلا أن الأمر في غاية الصعوبة بسبب قوة التيار (الما بعد حداثي) الذي يستمد طاقته من التحالف الذي عقدته مع الثقافة الشعبية التي تحولت إلى

ثقافة مضادة خاصة عند فئة الشباب حيث تتجسد في الكثير من مظاهر الانحراف مثل: (المخدرات، الجريمة، العنف، .....).[1]

يقول (بيتر بروكر) أن ما بعد الحداثة تقترن بالثقافة الدنيا(الرديئة) وتهاجم فنون الماضي وتحاكيها بسخرية وترتبط بالتفكيك والنزوع الاستهلاك، ووسائل، الإعلام، ودوائر المعلومات، التي تروج لمعرفة تختلف كل الاختلاف عما اشتهرت به الحداثة في الأعمال الفنية الكبرى ولدى كبار المنتجين الاقتصاديين، وفي مجال الثقافة، والفن،...إلخ؛ هذا يوضح وبشكل جلي أن ثقافة ما بعد الحداثة تروج لها الطبقات المسيطرة من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف والامتيازات، وإبقاء المجتمعات الإنسانية تحت السيطرة والسيطرة هنا لا تقتصر على المجتمعات المحلية وإنما تتعدى ذلك في محاولة التحكم وإخضاع أكبر عدد من المجتمعات.

يوجه (فردريك جيمسن) الأنظار بصورة مستمرة إلى قضايا التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي تثيرها ما بعد الحداثة وبالتالي إلى طبيعة الرأسمالية المتغيرة وقدرة الماركسية على البقاء وصلاحيتها الدائمة. يشارك (جيمسن) في الجدل الذي أثاره عالم الاجتماع المحافظ (دانيال بيل) حول دخول القرن العشرين إلى مرحلة *ما بعد الصناعة* و يرى أن الرأسمالية توسعت ورسخت هيمنتها، ويتساءل كيف تنتمي التغيرات التي تطرأ على نمط الإنتاج والعلاقات بين الطبقات في ظل الرأسمالية إلى أشكال جديدة من الإنتاج الثقافي، ويرى (جيمسن) أن كلاً من (هابرماس، وليوتار) لحداثة ثقافية أقدم زمنا يرى أنها فشلت. ويتقاسم كل من (بودريار، و جيمسن) وجهة نظر عن المجتمع الراهن باعتباره مجتمع الصورة الزائفة بعيدا عن للواقع معظم اتجاهات ما بعد الحداثة ظهرت كرد فعل محدد تجاه الأنماط السائدة من الحداثة العليا وضد هذه الحداثة أو تلك التي غزت الجامعة، المتحف،

(1)- المرجع السابق، ص 75.

شبكة معارض الفن، ...إلخ هذه الاتجاهات المدمرة التي كانت مشينة في نظر الجيلين السابقين أصبحت أثارا مادية يجب تدميرها حتى يظهر الجديد وهذا معناه أنه سيكون هناك العديد من مختلف أنماط ما بعد الحداثة بما لا تقل عما كان هناك من أنماط حداثية عليا، وهو أمر لا يجعل من السهل وصف ما بعد الحداثة بأنها شيء متماسك، لأن وحدة الحافز الجديد– لو كان هناك حافزا جديدا أصلا– لا تنشأ من ذاتها بل في نفس الحداثة التي تسعى إلى تقويض دعائمها.

تعمل ما بعد الحداثة على محو بعض الفواصل الرئيسية القديمة بين الثقافة العليا وبين ما يسمى بالثقافة الجماهيرية أو الشعبية، وهذا الأمر يعتبر الأكثر إزعاجا من وجهة نظر الأكاديمية، لأن الأمر يتعلق بصورة خاصة بحفظ دائرة خاصة من ثقافة الصفوة (النخبة) في مواجهة البيئة الهمجية المحيطة من مسلسلات تلفزيونية، والأفلام، والمجلات الرديئة والتافهة. مما يؤدي إلى اختلاط الأمور إلى درجة يصعب معها الفصل بين الفن الرفيع أنماط السوق.

وكخلاصة لهذه الظاهرة فليس ثمة كيان ثقافي منفرد أو تحول ثقافي تاريخي مطلق، وتبقى العلاقة جدلية والحوار المتبادل من بناء للقواعد والقيم والمعايير وهدمها؛ لكن توجد عناصر من المرحلة القديمة تقاوم بعنف المرحلة الجديدة، كما تسعى المرحلة الجديدة القضاء على كل ما هو قديم وبالتالي ليس ثم جزء داخلي أو خارجي من عمليات البناء الايديولوجي العالمي الذي يندرج ضمن مفهوم العولمة.

6- التضامن والتجانس الاجتماعي:

يتداخل بشكل كبير مفهومي التضامن والتجانس الاجتماعي إلى درجة أن كل منهما يكمل الآخر من الناحية النظرية، كذلك في الواقع والممارسة الاجتماعية. فلا يمكن تناول مفهوم

التضـامن الاجتمـاعي دون العـودة إلـى (اميـل دوركـايم) بالتحديـد أطروحـة تقسـيم العمـل الاجتماعي 1893 حيث وظف في هذه الأطروحة نوعين من التضامن الآلي والعضوي اللذان فسر من خلالهما تقدم المجتمعات الإنسانية؛ فالتضامن الآلي خصوصية المجتمعات التقليدية يقوم على التساوي والتشابه بين الأفراد في النمط المعيشي والمستوى الثقافي. أما التضـامن العضـوي فهـو خصوصـية المجتمعـات الحديثـة يقـوم علـى الاخـتلاف والتنـوع الاجتماعي خاصة في الوظائف والنشاط الاقتصادي.

أشـار (دوركـايم) إلـى أن الوحـدة الاجتماعيـة فـي المجتمعـات الحديثـة ليسـت أقـل شـئنا مـن الوحدة التي نجدها في المجتمعات التقليدية؛ لأن الأفراد يمارسون أعمال متكاملة في هذا النوع من المجتمعات حيث الوعي الجماعي (العقائد، القيم، الأحاسيس المشتركة حول مشروع مجتمعي موحد).

التماسك الاجتمـاعي يتطلـب تعـاون مـنظم مـن اجـل التخفيـف مـن المخـاطر المحتملـة لـ الفوضى، خاصة في عالم الشغل. كما أشار (دوركايم) إلى أن مجموعات العمل تلعب دورا مهما من اجل تشكيل نظام من القواعد لا يمكن الاستغناء عنه؛ بهدف التكامل الوظيفي وتحقيق التضامن العضوي.[1]

تحول مفهوم التضامن الاجتماعي إلى أحد المطالب الاجتماعية بتأثير من التصاعد الذي تعرفه البرجوازية الجشعة التي تسعى إلى الاستغلال، ليتحول هذا المفهوم السوسيولوجي إلى بيان ومفهوم سياسي. العمق السوسيولوجي لهذا المفهوم لم يفقد قيمته بالرغم من ابتكار

(1) - Rymond boudon, et Autre , Dictionnaire de la Sociologie. LAROUSSE , Espagne, 2023 , p 396

واستعمال مفاهيم محايدة جديدة من طرف علماء الاجتماع على غرار مفهوم الاعتماد المتبادل Interdépendance.[1]

كذلك مفهوم التبرع، أو Le Don وذلك من اجل تأهيل التبادلات الاقتصادية، والرمزية في الجماعات الصغيرة خصوصا في العائلة؛ لتنتشر بعد ذلك في المؤسسات الأخرى وكأن للأفراد واجبات كل واحد تجاه الأخر .

أما التجانس الاجتماعي فهو مفهوم يختلف كذلك بين المجتمعات التقليدية ومجتمعات الحداثة وما بعد الحداثة؛ في المجتمعات التقليدية يقوم مفهوم التجانس الاجتماعي على الجانب الوجداني، المادي، والثقافي بالمعنى الواسع للكلمة حيث يتساوى الأفراد ويتفقون على قواعد تضبط حياتهم الاجتماعية، وبالتالي مستويات التفاعل والعلاقات تعرف معدلات كبيرة من التوافق الاقتصادي، والاجتماعي خاصة؛ بالرغم من الظروف الصعبة وسيطرت المؤسسات الدينية عل رأسها الكنيسة؛ إلا أن النظام الاجتماعي بصفة عامة كان يتميز بالتراتبية وبنسيج اجتماعي متماسك بين الأفراد، والجماعات.[2]

في المجتمعات الحديثة فالانسجام الاجتماعي مفهوم مرتبط بالمفاهيم الأخرى التي ظهرت في ذلك الوقت مثل المساواة، حقوق الإنسان، الحرية...ألخ. وكان يحمل بعدا قانونيا ومؤسساتيا(العقد الاجتماعي) بحيث تعمل هذه الأخيرة على ضمانه بالرغم من الصعوبات الكبيرة التي كانت تواجه هذه المؤسسات بفعل تعدد القيم، والمعتقدات، والاتجاهات الجماعية والفردية.

لذلك كان مفهوم التجانس من بين المفاهيم المهددة بالزوال باعتباره يرتبط ارتباطا وثيقا بمفاهيم مثل التماسك، التضامن الاجتماعي في ظل التنامي الرهيب الذي عرفته ظاهرة

(1) - IBID , p 396.

- (2) فلليب كابان، جون فرانسوا دورتيه ، مرجع سابق ص 267.

الفردانية وتشيئ العلاقات الاجتماعية أو (مادية العلاقات الاجتماعية). أما عصر ما بعد الحداثة فيمكن إن نختصر مفهوم التجانس الاجتماعي في كون الأفراد والجماعات يتشابهون في صفة البشرية فقط .

7-الهوية والهوية الاجتماعية.

1/7- مفهوم الهوية في العلوم الاجتماعية:

« هل الهوية روح معنوية وفيض من الإحساسات المنقوشة في الوعي الجمعي؟، أم هي إدراك حي، ومتجدد يتفاعل مع المحيط المادي والثقافي للبشر؟ .انه تساؤل كلاسيكي تعددت الإجابات عنه و اختلفت خاصة من قبل الفلاسفة ودارسي الحضارة ... [1]».

وربما نستخلص من العبارات والأمثلة القليلة التي يوردها قاموس (أوكسفورد) أن الأمر يتعلق بالتطابق التام ما بين باطن الشيء وظاهره، أو بتماثل التجليات الظاهرة لأي كينونةٍ مع جوهرها العميق، بلا انفصام أو انشطار مهما كان ضئيل ، ....ويحدد الفرد الصورة التي يحملها في نفسه عن نفسه، والتي ستؤثر، بطريقة أو بأخرى، في تحديد المنظور الذي سيعتمده لإحالة ذاته إحالة موضوعية في العالم، والذي سيُطل من خلاله على الآخرين ليرسم الصورة التي سيكونها في نفسه، ولنفسه عنهم [2]».

« ... مفهوم الهوية كثيرا ما يساء تعريفه أو استخدامه من طرف الناس سواء عن قصد من أجل تحقيق أغراض مرتبطة بمصالح فئوية معينة، أو عن غير قصد نتيجة كثرة التداخلات و التناقضات التي يفرضها غموض، والتباس المفاهيم المتعددة و المرتبطة

(1)- عبد الله الغدامي: **القبيلة و القبائلية** :ط1،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب:2009، ص 35.
(2)- منظمة اليونيسكو،(د.ر.ص).

بالموضوع [1]» ولتجنب هذا الغموض و الخلط لا بد من الاعتماد على التساؤلات الآتية: من أكون؟ وكيف أصبحت على ما أنا عليه؟ ما هي العناصر التي تشكل هويتي؟.

معرفة الذات الفردية والجماعية معرفة عميقة ومتشعبة تفضي إلى تصفيتهما من الوهم والإيديولوجية والأخيلة الزائفة والجموح الفارغ، إنما هي القاعدة التي يُمكن أنْ يتأسس عليها الكلام على الهوية بوصفها ثروة حضارية. وبهذا المعنى، فإن الهوية ليست مطلقاً يسبح في فضاء بلا هوية، وإنما هي ذات إنسانية، فردية أو جماعية، تنصهر في "ذات ثقافية" تقوم على التعدد والوحدة، وعلى التحول الدائم على محور ثبات، تماما مثل القناع الذي هو بنية عميقة، أو منظومة علاقات ثابتة ومتحولة يُمكن إدراكها من خلال المحور الثابت الذي تتحرك عليه تحولات ترسخ دلالة أن الهوية في تخلق مستمر، وأن الذات لا تجد حضورها إلا بانفتاح الأنا على ذات تتجسد في آخر سواها.

يرتبط مفهوم الهوية و الثقافة بشكل يكاد يكون في حلة الخضوع المتبادل وذلك يظهر من خلال التعريف الآتي:« مجموع التصنيفات الإنتمائية التي يرى بواسطتها الإنسان محيطه، و هي تضم التصنيفات القائمة على اللغة و الدين و العرق و الجنس و الأدب و الموسيقى و العادات و التقاليد و الوطن و المهنة و التاريخ...الخ [2]». بهذا التعريف الذي يتناول بصفة عامة مفهوم الهوية.

2/7- مفهوم الهوية في علم الاجتماع : مفهوم الهوية في علم الاجتماع يتضمن كل ما يتعلق بقضية العلاقة بين الجماعية والفردية، والحتمية الاجتماعية والفردية التفرد، وليس من الممكن معالجة هذه الفكرة حتى الآن من دون الإشارة إلى الاتجاه السائد في علم الاجتماع الذين لديهم مناهج متعددة.

(1)- محمد الكوخي، **سؤال الهوية في شمال إفريقيا**، أفريقيا الشرق، المغرب 2014، ص، 14.
(2) - المرجع نفسه، ص، 13.

بالإضافة إلى تعريف "الهوية الذاتية" (الهوية الذاتية أو الشخصية) تقترب أكثر أو أقل من تلك التي عرضت في علم النفس، وعلم الاجتماع كما يقدم تعريف "الهوية الاجتماعية" الهوية للآخرين من خلال التصنيفات، والحالة الاجتماعية أو المهنية، وهدف الهوية في مفهومها الاصطلاحي تناوله علماء النفس والاجتماع الانتروبولوجيا ونظرا للزخم الهائل من التعريفات التي تتقاطع بين النفسانيين والاجتماعيين والأنتروبولوجيين.[1]

الهوية هي مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه أو يتعرف الناس عليه، أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كانسان له جملة من الأدوار والوظائف والتي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها.

كما أن مفهوم الهوية نجده متعلقا بمفهوم الثقافة في مجال التعريفات التي تناولته فهو مفهوم ثقافي تاريخي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يحيا بها فدور الثقافة بكل ما تحمله من معاني هو تكريس هوية ثقافية؛ من خلال عملية تمثيل عاطفي واجتماعي مع عملية اندماج تاريخية و ثقافية ونفسية واقتصادية تستغرق زمنا طويلا مما يؤكد أهمية التاريخ في خلق الهوية الثقافية بصفته العصب الذي تنمو وتتشكل فيه.

التراكم التاريخي ضروري لصنع الهوية الثقافية لأنها في النهاية هي المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين أفرادها وبين الظروف الطبيعية التاريخية التي مرت بها والتي نسجت فيها بينها روابط مادية وروحية مشتركة أهمها وأعلاها رابطة الدين واللغة.

(1)- منظمة اليونسكو، مرجع سابق (د.ر.ص).

"وتأسيسا على ذلك، فإن للهوية، باعتبارها منظومةَ قيم مُطلقة وبنية متحولة في آن معاً، وظيفةً حضاريةً تفضي بالإنسان إلى صعود مراقي التطور والتقدّم والازدهار، وتنجز أهدافا في تحفيز مسيرة الرقي الإنساني، وفي بناء حضارة البشر على نحو يُمكن الإنسان من الاستمرار في رحلة وجودية تحمله من كمال متحقق إلى كمالٍ محتمل."[1]

الدراسات السيولوجية والأنتروليوجية تشير إلى أن الهوية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة أو أمة لها من الخصائص والمميزات الاجتماعية والثقافية والنفسية والتاريخية التي تعبر عن نسيج أو كيان ينصهر ويندمج في بوتقته جماعة بأكملها وبذلك يصبحون منسجمين ومتفاهمين.

3/7- أنواع ووظائف الهوية

أ- أنواع الهوية :

أ/1- الهوية الثقافية: الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيء تعريفا تلقائيا بأن الأفراد ينتمون إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية بما لها من قيم و خصوصية ثقافية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ هذه الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأساليب حياتها وإحساسها بالخضوع والمشاركة فيه قدر مشترك وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية حيث نرى انطباعاتنا الخاصة بصفة مستمرة مما يمكننا من بناء شخصيتنا من خلال التعليم والتعبير عنها في العمل الذي يؤثر بدوره في

(1)-اليكس ميكشللي: الهوية، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم ،دمشق ،1993، ص 54.

العالم الذي نحيا فيه. « وتعرف الهوية الثقافية عادة لدى علماء الاجتماع بأنها مجموع التصنيفات الإنتمائية التي يرى بها الإنسان نفسه و محيطه[1]».

تقوم الهوية على مبدأ الوحدة التي لا تتبخر فالهوية كالمجتمع الواحد الذي تتعدد مذاهبه او أحزابه السياسية إلا أنه يقوم على عدة أنماط أهمها:

– نمط الهوية الثقافية العقائدي باعتبار أن الدين مؤثر بدرجات كبيرة و معتبرة على غالبية الشعوب وهو العنصر الأساسي في تكوين الهوية الثقافية وهو الذي يميز بين المجتمعات، و الثقافات الإنسانية، من الناحية والتاريخية والقيمية و الثقافية بصفة عامة.

– الهوية الثقافية الإنسانية العالمية التي تشير إلى مدى وعي أي مجتمع بالانتماء و الولاء إلى ثقافة إنسانية ما أو حضارة إنسانية معينة. وليست الهوية، في هذا الضوء، واقعا ثقافيا أو مجتمعيا، وإنما هي قيم جوهرية تتنزل في واقع تتجدد فيه بفعل فهم الإنسان وإدراكه وديناميته، وقدرته على مواجهة مشكلات حياته وعصره، وتخطى المشاكل التي تعترضه.

ولأن الهوية هي القيم المطلقة والخالدة التي تساهم في إعطاء الصورة الحقيقة الإنسان عن كل ما يتعلق بحياته من أبسط سلوك حول الحاجات البيولوجية إلى الممارسة العقائدية، الهوية هي ثابت الإنسان وتحولاته، أو هي جوهره المجرد وتجلياته الممكنة، والمتغايرة، والمتحوِّلة في سياق صيرورة دائمة.

إنها إذن حقيقتنا التي تحتاج جهدنا الإنسانيِّ المستمر كي تتجسد في الوجود عبر القدرة الخلاقة على إحالة الذات إحالة موضوعية في المجتمع.من أجل الوصول إلى أنماط سلوكات ومواقف وتصرُّفات، وبرامج عملِ تؤسِّس حقائق حضارية ثقافية واجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية الخ.

(1)- محمد الكوخي، مرجع سابق.ص 13.

أ/2-الهوية الفردية: هذه الهوية تعرف الشخص من شكله واسمه وصفاته وسلوكه وانتمائه المرجعي، فالهوية الشخصية تستند إلى الاستبطان الاجتماعي حيث تنشأ من تفاعل بين الآليات النفسية والعوامل الاجتماعية، ويمكن تعريفها كذلك بمجمل الصفات التي يولد بها الفرد (الجنس، النسب، العائلة، المكان الجغرافي، الجنسية...)، والتي يكتسبها(اللغة، القيم، الذوق، المعتقد، الايديولوجية، المهنة...)؛ وكل مايكتسبه الفرد يعود أساسا إلى التنشئة الاجتماعية بمعنى الجماعة هي من ينقل الهوية للفرد.

تختلف هويات الافراد باختلاف جماعات ومجتمعات الانتماء فالمجتمعات الصناعية تثمن وتهتم بالهوية الاقتصادية(المهنة، النشاط، الطبقة، الاستهلاك،...)، بينما تهتم المجتمعات المتخلفة بعناصر ثقافية أخرى وبالتالي هويات مثل (المعتقد، العرق (الاثنية)، المواصفات المورفولوجية، الجهوية...).

هدف كل فرد هو أن تُقيَم هويته لذلك يدخل في علاقات من أجل تحقيق الذات زذلك بإحساس أن يكون هو (شخصيا وذاتيا)؛ ذلك ما يحاول أن يفعله الطفل في الأسرة، التلميذ في المدرسة، والعامل في المؤسسة، انطلاقا من تحقيق الذات على مستوى المؤسسات تتكون الهوية الفردية، وبالتالي الهوية الجماعية ثم المجتمعية[1]. « لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يستطيع العيش بمفرده، فإن ذلك يجعله يربط باستمرار علاقات تواصل مع افراد آخرين من المجتمع، يمكن أن يكون ناجحا إذا لم يكن هناك شعور متبادل بالانتماء المشترك إلى نفس المجموعة [2]».

أ/3-الهوية الاجتماعية: وهي عبارة عن هوية "النحن" وهي تلك الصورة أو ذلك الشكل الذي تكونه مجموعة معينة عن نفسها، وأنها تنشأ من الداخل من الأفراد باتجاه الخارج

(1) _ Marc Montoussé , Gilles Renouard,OPCIT,P 96.

(2)- المرجع نفسه، ص 14.

تداولها داخل المجموعة وهي أساس مسألة المعرفة للوعي الذي يحمله الأفراد اتجاه الخارج في إطار هذه الهوية أي تتبع الواقع الاجتماعي للأفراد، و معنى آخر الإتحاد أو الإدراك الذاتي المشترك بين جماعة من الناس ونظرية الهوية الاجتماعية. كما يمكن أن تكون الهوية الاجتماعية « على أساس مستوى الدخل و المهنة، و مستوى التعليم، و السلوك العام بما أنه أحد رمزيات الشخص وطريقة تقديمه لنفسه أو لنفسها (الهوية)[1]».

تتميز كذلك بوجود روابط قوية بين اكتساب قيم الجماعة وبين مفهوم الذات فالناس تسعى للحصول أو الحفاظ على الهوية الاجتماعية الايجابية؛ من أجل أن ترفع من تقديرهم للذات وتحقيق الهوية الايجابية وبالتالي تنشأ عن طريق المقارنة بين داخل الجماعة وقيمها وعاداتها ورموزها وبين خارج الجماعة وما يمثل القيم و العادات و الرموز في الجماعات الأخرى.

الهوية السياسية: مثل كل الهويات الجماعية، الهوية السياسية انتاج تاريخي وأفضل مثال على ذلك القارة الأوروبية حيث الهويات الوطنية في حدود القرن 19 نجده في كل بلد الديمقراطية السياسية تدعم هوية الانتماء، ورسخت ثقافة الممارسة السياسية (اليمين، اليسار، المحافظون، التقدميون، حزب العمال، أحزاب ذات مطالب بيئية...). على العكس من ذلك اليوم هذه الثقافة في تراجع مستمر حيث فقدت هذه المجتمعات هويتها السياسية؛ ذلك لأن عولمة الاقتصاد، وعصر ما بعد الصناعة حطم الفضاء الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة (العادات، المعتقد، القيم،...)؛ لهذا السبب أصبحت الأمة لم تعد ذلك الإطار الوجيه الذي يقدم الحلول للمشاكل الاقتصادية أو البيئية وبالتالي تطفو إلى السطح ظواهر سلبية كثيرة تهدد وحدة المجتمع بالدرجة الأولى. فهذه الأمم(فرنسا، اسبانيا على سبيل المثال)

(1)- عبد الله الغذامي، مرجع سابق، ص 54.

دمرت المعالم التقليدية للثقافة السياسية [1]. فالسياسي شيئا فشيئا يقدم هويات أقل دقة واستقرار؛ مما يؤدي في النهاية إلى « ... حينما يقدم الفاعلون في المجتمع على وضع تصور يفضي إلى هوية جديدة مبنية على ما يتوفر لهم من وسائل ثقافية تعيد تعريف مكانتهم في المجتمع، ومن هنا يسعون إلى تحويل بنية المجتمع ككل و تحوير مساره. [2]». وذلك ما ذُكر في العناصر السابقة.

4/7 وظائف الهوية:

الوظيفة المعنوية: تلعب الهوية دورا معنويا في عملية إنتاج الذات الفردية والجماعية وتأكيد الذات الفردية والجماعية وإعادة ترتيب علاقاتها بمحيطها من اجل إثبات وجودها وتحقيق الاستقرار فتجعلهم منتمين إلى هوية معينة يحافظون على معرفة ذاتهم ويعرفون الآخرين بها. لأن الوعي بالذات ليس إنتاجا فرديا صرفا ولكنه ينتج عن مجموعة التفاعلات الاجتماعية التي يكون الفرد والجماعة منغمسا فيها وانعدام أو انقطاع الذات يؤدي إلى حدوت أزمة الهوية ففي حالة عزل الذات عن هويتها قد يحدث بما نسميه بانعزال الهوية الذي هو قبل كل شي تعبير عن التصرف والإقصاء والانسلاخ عن الهوية الأصلية وتشكيل هوية جديدة.

الوظيفة الإدماجية والتكيفية: إن المحيط الذي يعيش فيه الأفراد مليء بالتناقضات والتنوع وعدم التوافق والتماثل والانسجام بين مكوناته يكون مهددا حقيقيا لوحدة وانسجام مقومات الهوية أو بين الأطراف والمكونات الثقافية المتمايزة، لذا ينبغي أن يكون بناء مقوماتها في تناغم مع المحيط عن طريق التفاوض، لذا فالهوية تسعى إلى إدماج وتكليف الأفراد والجماعات مع محيطهم ومع الأوضاع المختلفة التي يجدون فيها (تغير السلوك والفعل أو

(1) Marc Montoussé , Gilles Renouard,OPCIT,P 96.

(2)- المرجع نفسه، ص 51.

تطويره طبقا للظروف المحيطة)، فالهوية تراعي الواقع الذي نستقي منه أكبر قسط من مكوناتها فالهوية تتأسس على عملية تحقيقها وتوحيدها على المؤسسات والجامعات من أجل الاعتراف بها.

الوظيفة القيمية: يشير أنصار التفاعلية الرمزية أن الأفراد في تفاعلهم يسعون لإظهار أحسن الصور عن ذواتهم و تقديم أجمل الصور عن شخصيتهم و جوهرهم؛ و لكن هذا يبق مجرد تمثيل و قناع يلبسه الأفراد في مختلف المواقف و المواقع من أجل إيهام الذات و الأخر بالالتزام، بالرغم من هذا إلا أنه هناك مبادئ و ثوابت موجودة فعلا و حقيقة في شخصية الأفراد لا يمكن التنازل عنها على الأقل بسهولة حيث يعمل الفرد على إسناد نفسه مميزات ذات قيمة إيجابية بناء على أنه المثالي، فهو يسعى إلى إنعاش العلاقة الإيجابية مع الذات بعدما يحصل الاعتراف فحينما تصير مبررة ومشروعه على نحو أساسي ولأن الهوية مسألة لها قيمتها ولا يمكن أن تستخلص قيمها إلا من خلال المعايير العليا للمجتمع وللجماعة لذلك فالأفراد والجماعات حينما يكونون أثناء عملية التفاوض مع المحيط الذي يعيشون فيه يسعون إلى تشكل هوية مرغوب فيها وذات قيمة لدى الآخرين، فالهويات تتغير وتتصارع من اجل الاعتراف بها في جو من الفضاء العام.

5/7- الهوية الاجتماعية حركية:

التنظيمات في المجتمعات المعاصرة تحاول قدر الإمكان تثبيت الهويات الجماعية وتركز دائما على استمراريتها وهذه سياسة المجتمعات الما بعد صناعية، هنا يكمن الخطأ الجوهري في مفهوم الهوية لأن هذه الأخيرة بناء تاريخي يبحث عن الشرعية في طبيعته من أبسط فعل على المعتقد « وهي الهوية التي تنتجها المؤسسات الاجتماعية المهيمنة من أجل إدامة هيمنتها و عقلنتها، كأن تكون العامل الفعال في ذلك حسب منطق نظرية

السلطة و الهيمنة كما يطرحها سينيت. [1]». هذا النوع نجده في المجتمعات ما بعد صناعية كذلك في المجتمعات المتخلفة حديثة الاستقلال التي تبنت الحداثة كمشروع لبناء الدول؛ حيث تعمل المؤسسات الاجتماعية المدعمة من طرف نظام قيمي محدد يتمثل في النظام السياسي خاصة على فرض مجموعة من المعايير، و القوانين، و القواعد من خلالها تعيد إنتاج هذه الهوية التي تعتبر وسيلة للحصول الكثير من الامتيازات المادية و المعنوية مع تشكيل نظام دفاعي بحيث يبقى هذا النوع ليس في متناول القاعدة؛ مما يفقد الهوية البعد الموحد للجماعات هذا من جهة؛ الهويات الجماعية ليست فقط بنائية ولكنها أبدية التطور كذلك بحيث يؤدي عدم الاستقرار للفاعلين في مجال التنشئة الاجتماعية إلى تشكل أزمات في الهوية الجماعية الكلاسيكية(الهوية العائلية، الوطنية، المهنية، الدينية...) وفي نفس الوقت تظهر جماعات تسعى إلى تحقيق مجموعة من المطالب من أجل التمكين لهويات جديدة في الظهور مثل: (الجماعات النسوية، المثليين، الجهويين، الجماعات الاثنية...) [2]

(1)- عبد الله الغذامي، مرجع سابق ص 51

(2) - Marc Montoussé , Gilles Renouard , 100Fiche Pour Comprendre La Sociologie ,Bréal, France, P 96.97.

8- أسس وأبعاد المواطنة :

شرعية المجتمعات الديمقراطية تقوم على مبدأ المواطنة حيث يتم إدماج أعضائها من خلال مواطنة مشتركة، وذلك بتجاوز كل الاختلافات فكل المواطنين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات مهما كان عرقه، جنسه، معتقده، ولون بشرته، ومميزاته الاقتصادية والاجتماعية. تعتبر المواطنة مبدأ لتسيير الاختلافات بين الأفراد في المجتمع الواحد ولكل هذا برعاية وحماية النصوص القانونية والتشريعية؛ من أجل تجاوز رهان المجتمع كتلة من الأفراد المفصولين من الناحية القيمية، المواطنة تجعل من الأفراد كتلة من الأفراد الأحرار وفي الوقت نفسه ملتزمون بالقانون من أجل العيش المشترك.[1]

لا يمكن الحديث عن المواطنة دون الحديث عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية كونها تلعب دورا مهما في بناء مشروع مجتمعي يحقق كيان و وجود حقيقي للفرد و الجماعة ،حيث لا يمكن استثناء أي منها لأنها بمثابة سلسلة من الحلقات تؤثر و تتأثر بين بعضها البعض. لكن تبقى مكانة الأسرة كمؤسسة اجتماعية في المجتمع مكانة جد حساسة باعتبارها المكان الأول الذي يجد الفرد نفسه فيه وأول احتكاك له بالحياة الاجتماعية ،لذلك فهي التي تصنع المعالم الأولى لشخصية الفرد في عدة جوانب منها الإحساس والشعور بالانتماء الى وطن من الأوطان أو ما يسمى بالمواطنة ،وهذا الإحساس أو الشعور لن يتكون عند الفرد بعفوية ،وإنما باعتماد طرق وأساليب معينة في التربية و التنشئة الاجتماعية انطلاقا من الجانب الثقافي والاقتصادي الاجتماعي والسياسي حيث تتأثر الأسرة بكل ما يحط بها من مؤسسات و ظروف اجتماعية هذا المحيط الاجتماعي الذي يمكن إن يلعب دورا ايجابيا أو سلبيا في تكوين ما يسمى الشعور بالانتماء أو المواطنة لدى الفرد .

(1) OPCIT, p 30.

الفرد الذي يعيش في مجتمع يملك مشروع مجتمعي وذلك من خلال وجود نظام اقتصادي يضمن حياة مادية مقبولة وكريمة للأفراد ،ونظام اجتماعي يؤطر و ينظم العلاقات والروابط الاجتماعية، ونظام سياسي يكفل الحقوق و يفرض الواجبات من خلال العدالة الاجتماعية و نظام ثقافي ينمي روح الانتماء ويحقق المناعة الثقافية.

أما في حالة العكس أي غياب المشروع المجتمعي وفق ما ذكر سابقا وما يجب أن توفره مختلف الأنظمة والمؤسسة ذلك ينعكس سلبا على قيمة المواطنة وعلى طريقة و أسلوب التنشئة الاجتماعية التي تتأثر بالمستوى الاقتصادي والمادي للمجتمع بشكل مباشر؛ خاصة ما يتعلق بالتربية، العدالة، والصحة هذه المجالات الثلاثة الحساسة تعمل على ترسيخ قيم المواطنة بشكل كبير، بالإضافة إلى النظام الثقافي و مكانة العلم في المجتمع و المؤسسات، الذي ينمي روح الانتماء ويحقق المناعة الثقافية.

9- أزمة التنشئة الاجتماعية:

يعتبر مفهوم التنشئة الاجتماعية من المفاهيم الجوهرية في مجال العلوم الاجتماعية؛ فهي مجموعة من العمليات، والإجراءات، والبرامج التي يتلقى من خلالها الفرد قيم ومعايير المجتمع الذي ينتمي إليه وبالتالي فهي عملية تحويل الفرد من كائن غير اجتماعي إلى كائن اجتماعي بهدف تكوين فرد يتميز بالاستقرار و العقلانية في سلوكه، تصرفاته، ونمط تفكيره.

اخذ مفهوم التنشئة الاجتماعية أبعادا جديدة في المجتمعات الحديثة حيث أصبحت هذه الأخيرة تعتمد في مشروعها على التكامل المؤسساتي وذلك بتقسيم وظيفة التنشئة على عدد من المؤسسات بهدف تحقيق المشروع المجتمعي وفق الخصوصية الثقافية

والإيديولوجية، لكن نجاح هذا المشروع ليس في متناول أي مجتمع باعتبار الحساسية، والصعوبة الكبيرة التي يتميز بها حيث يعتبرها (جورج زيمل) صيرورة اجتماعية تمتد إلى كل مجالات الحياة بما فيها التاريخ، وليست وليدة الظروف والضغط الاجتماعي الراهن، لذلك فإن ربط مفهوم الأزمة بمفهوم التنشئة الاجتماعية يقتضي طرح مجموعة من العوامل والمؤشرات،[1] فالأزمة تختلف باختلاف المجتمع من حيث الأسباب، والمدة والمجال الذي تحدث فيه(اقتصادي، تربوي، سياسي...) مع إمكانية أن تكون متعددة الأبعاد والمجالات.

يدرك الأفراد أن مكانيزمات التنظيم تتعرض لاختبارات غير متوقعة وغير مخطط لها لكن عندما يتعلق الأمر بمشروع التنشئة الاجتماعية فانه لا يمكن القبول بهذا التفسير لأن التسليم به يعبر عن فشل حقيقي في تحقيق المشروع، وسيؤدي حتما إلى نتائج غير مضمونة تستمر نتائجها لعقود من الزمن مما يؤدي إلى عملية تحول قيمي في التركيبة والبناء الاجتماعي تهدد كيان المجتمع وثقافته.الأسباب الحقيقية لأزمة التنشئة الاجتماعية خفية بالنسبة لغالبية أفراد المجتمع، ذلك يعني أن النتائج السلبية لهذه الأزمة تتحملها هذه الفئة، بينما تستفيد فئة قليلة من ذلك مما يقود لإثارة مؤشر التخطيط لهذه الأزمة، فطبيعتها وحساسيتها، وأهميتها بالنسبة للمجتمعات يجعل من فرضية عدم التوقع أو سوء الدراسة والتقدير، وكونها صدفة غير مخطط لها فرضية ضعيفة المنطق والحجة .

حدوث أزمة في التنشئة الاجتماعية يستدعي تدخلا سريعا وإجراءات استعجاليه لاحتوائها فالقرارات المتخذة غالبا ما تكون عنيفة باعتبار أن الأزمة في حد ذاتها شكلا من أشكال العنف لأن المجتمع دخل في مرحلة فقدان الإحساس بالذنب حيث غياب المعايير والقيم التي تضبط سلوكات الأفراد.

(1) Raymand Boudon, philipe Besnard, et autre, OPCIT , P 217.

خلال مرحلة الأزمة يسود الشك، اللاثقة (الكل يخاف من الكل)، اللااستقرار، وسوء في التوجيه للعقول حيث يفقد المجتمع معالم الانضباط، والضمير الجمعي. وصول المجتمع إلى هذه المرحلة يقتضي العودة إلى السلطة الكاريزمية بالمعنى الفيبري للكلمة (ماكس فيبر) للكلمة لان شرعية معالجة الأزمة لا تقتصر عل تطبيق القانون بقدر ما تتعلق بقوة التأثير في الأفراد والجماعات في خضم الأزمة، لتأتي بعد ذلك الإجراءات المتوسطة والبعيدة المدى التي تفرض على كل الفاعلين في المجتمع تشخيص الأسباب ومعرفة المسؤول الحقيقي وعدم الاكتفاء بمسؤولي الواجهة وإنما الهدف معرفة العدو الحقيقي (الخفي) الذي تسبب في الأزمة.[1]

التنشئة الاجتماعية السوية تقتضي تقديم المصلحة العامة على الخاصة من أجل تجسيد قيم التضامن، التجانس، الاحترام، والتسامح وذلك لتحقيق التعايش والاجتماع العقلاني بين الأفراد والجماعات كما أن المجتمعات تعيش في حالة من التغيرالاجتماعي المستمر وبالتالي عملية إعادة الانتاج تفرض مواكبة هذا التغيير والا ثبات بفعل التقدم العلمي التكنولوجي الرهيب الذي يعرفه العالم ومواجهته بإنتاج ثقافي، اجتماعي، اقتصادي يقف في وجه الامتداد والغزو المباشر، وغير المباشر خاصة للمجتمعات المتخلفة بهدف إبقائها تحت السيطرة والتخلف من أجل الاستغلال واستنزاف كل مقتضياتها النوعية.

(1) - IBID, P 51 ,52.

السداسي السادس

طبيعة الرابط الاجتماعي في الوطن العربي

تمهيد

1- القيم الثابتة و المتحولة

2- إشكالية الحداثة و أسئلتها

3- المصادر الثقافية للمخيلة المحلية

4- شبكات القراءة و التأويل للرابط الاجتماعي

5- الشبكة الوضعية الوظيفية

6 الشبكة التاريخانية(العصبية والرابط الاجتماعي في المجتمعات المغاربية)

7سوسيولوجيا السمو transcendance

خلاصة

1- القيم الثابتة والقيم المتحولة

القيم تعني المبادئ العامة للتوجيه الأساسي خاصة التفضيلات والعقائد الجماعية. في كل المجتمعات تحديد الأهداف يكون انطلاقا من التمثلات المرغوب فيها، لتتجلى في الأفكار الجماعية، هذه القيم المرتبة منهجيا،وتقدم الصورة تامناسبة للفرد عن ذاته وعن المجتمع و للعالم الخارجي تظهر دوما كمعطى غير قابل للاختزال، جوهر مستقر، وفي نفس الوقت هو مجموع المتغيرات المستقلة التي تحدد إمكانية استمرار القيمة أو زوالها.[1]

هذا التعريف المقتبس من قاموس علم الاجتماع يوضح بشكل مباشر العلاقة بين القيم والجماعة من جهة، كما يوضح ثنائية الثبات والتحول التي تتميز بها القيم من جهة أخرى فالممارسات الاجتماعية تحكمها القيم والمعايير التي يتفق عليها المجتمع بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، كما نجد أن القيم لا يمكن فصلها عن التغير المجتمعي لذل فان مفهوم الثبات في العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة يعتبر تناقضا لخصوصية هذه العلوم وللعلم ككل؛ بحيث انه اذا كانت هناك ميزة لا يمكن للعلم أن يستغني عنها فإنها التغير وعدم الثبات كذلك الأمر بالنسبة للمجتمع الذي يعد موضوع الدارسة لعلم الاجتماع، اذا ما قورِن بالمواضيع الأخرى للعلوم الطبيعية التي تبقى في حركية مستمرة ودائمة.

نسبية القيم نجدها من حيث النوع كما نجدها كذلك من حيث الوقت (الزمن)، هذا أمر بديهي منذ زمن بعيد، ولكن في الوقت نفسه تختلف القيم عن المعايير لأنها لا تزول بسرعة وتبقى في المجتمع حتى أن البعض منها يتحول إلى قيم مسيطرة .

(1) - Raymand Boudon, philipe Besnard, et autre, OPCIT , P 243.

فـي المجتمعـات الغربيـة مـثلا: كانـت القـيم الدينيـة هـي المسـيطرة حيـث لعبـت الكنيسـة المسيحية دورا كبيرا في ترسيخها خاصة في المرحلة ما قبل عصر الأنوار، لكن مع حلول هذه الأخيرة بدأت معالم هذه القيم الدينية تتلاشى شيئا فشيئا، حتى عصر الحداثة الذي بدأ في انتاج قيم جديدة بالمرة لم تكن موجودة إطلاقا وكان مصدرها الأساسي النظام الاقتصادي الرأسمالي مثل: العمل، التنافس، الإبداع...، على المستوى السياسي: الحرية، الديمقراطية، حرية التعبير، الحوار...الخ.[1]

2- المصادر الثقافية للمخيال المجتمعي

« ... الثقافة تعتبر على نحو ما متفقة بين المجتمعات، وعلى نحو ما مختلفة كذلك فإذا نظرنا إليها على قدر عالي من التجريد، نجد قدر كبير من التشابه بين الثقافات أو بمعنى أخر إنه الاتفاق في العموميات والاختلاف في التفاصيل »[(2)] لقد حظيت الثقافة باهتمام الباحثين في الماضي لأنها قد أصبحت موضوعا للعديد من العلوم الاجتماعية في مقدمتها علم الاجتماع نسبة للارتباط بين الثقافة والمجتمع، إذ تلعب الثقافة دورا مهما في حياة الإنسان بل هي جزء مهم في حياة الإنسان العضو في المجتمع ومن هنا تحتل الثقافة مكانا بارزا في دراسات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية إذ بدون هذه الدراسات لا يستطيع الباحث أن يتعرف على الفرد أو المجتمع أو الجماعة أو المجتمع أو يفرق بينهم.

(1) - 100 fiches pour comprendre la sociologie, OPCIT, P 73.

(2) – ميشال، طوماس: نظرية الثقافة، ترجمة على سيد الصاوي، المجلس الوطني للفنون والأدب، الكويت، 1997، ص 08.

والثقافة بشكل عام تساعد الباحث على التميز والتفريق بين فرد وأخر وبين جماعة وأخرى وبيم مجتمع وآخر، بل إن الثقافة هي التي تقدم لنا خصائص ومميزات جنس بشري عن غيره من الأجناس.

وفي اعتقادنا أن فهم طبيعة إشكالية الثقافة المحلية في الجزائر حاليا مرتبط بفهم خلفيات هذه الإشكالية وفي مرحلة زمنية ليست بالبعيدة من تاريخ المجتمع الجزائري وحتى لا نغوص في قرون من الزمن ونكتفي في هذا العنصر بمرحلة محددة فان سياسة الاحتلال الفرنسي والإيديولوجية الممارسة في الحركة الوطنية ونهج السياسة الثقافية الذي كان متبعا في الجزائر بعد الاستقلال مباشرة والتي كانت أرضية متنوعة إيديولوجيا وثقافيا خاصة على المستوى المحلي مما شكل فسيفساء ثقافية ثرية كانت بأمس الحاجة الى مشروع مجتمعي تنضوي في إطاره من أجل تحقيق الإجماع حوله .

1/2- المفهوم السوسيولوجي للثقافة:

« مع أنه لا وجود لما نسميه بـ:" سوسيولوجيا الثقافة"، إلا أنه يوجد الكثير من الأشكال المختلفة للسوسيولوجيا، مثل السوسيولوجيا البنيوي (structuralist sociology)، ونظرية الفعل (action theory)، والسوسيولوجيا الظواهرية (phenomenologicalsociology)، والسوسيلوجيا الإنبنائية (structurationist sociolgy) إن فروع علم الاجتماع تتناول موضوعات لها علاقة بـ" الثقافة"[1]»

يعتبر مفهوم الثقافة ملازما للعلوم الاجتماعية، وهو ضروري لها إلى حد كبير، للتفكير حول وحدة البشرية من خلال التنوع بشكل يختلف عن التفكير المستند إلى

(1)– دفيد إنغلز – جون هيوسون، مرجع سابق، ص 19.

البيولوجيا. ويبدو أن هذا المفهوم يقدم أكثر الأجوبة إقناعاً على سؤال الفارق بين الشعوب، وذلك لأن الجواب " العرقي" أخذ يفقد من قيمته شيئاً فشيئاً مع تطور علم الوراثة البشري.

الإنسان بالأساس كائن ثقافي. وعملية التحول الطويلة إلى إنسان التي بدأت قبل عشرة ملايين سنة، انطوت في جوهرها على الانتقال من التكيّف الوراثي مع البيئة الطبيعية إلى التكيّف الثقافي. وعبر مسيرة ذلك التطور الذي أدى إلى نشوء الإنسان العاقل أي الإنسان الأول، تراجعت الغرائز تراجعاً كبيراً، وحلّت الثقافة تدريجياً محلها وهو التكيف الذي تمكن الإنسان من السيطرة عليه.

وقد تبين أن هذا التكيّف أكثر فاعلية من التكيف الوراثي لأنه أكثر مرونة وأسهل وأسرع قابلية للانتقال .والثقافة لا تتيح للإنسان التكيف مع بيئته فحسب، بل تتيح له إمكانية تكييف هذه البيئة لحاجاته ومشروعاته، بمعنى آخر، الثقافة تجعل تغيير الطبيعة أمراً ممكناً.

وحتى لو امتلك كل البشر المخزون الوراثي نفسه إلا أنهم يختلفون عن بعضهم البعض في خياراتهم الثقافية حيث يتمكن كل شعب من إيجاد الحلول الملائمة. ولكن، يمكن رد هذه الاختلافات إلى بعضها بعض لأنها تمثل تطبيقا للمبادئ الثقافية الشاملة نظراً للوحدة الثقافية التي تجمع البشرية، على اعتبار أن هذه التطبيقات عرضة للتطور بل وللتغيّر.

وبالتالي يبدو أن مفهوم الثقافة يعد أداة مناسبة لوضع حد للتفسيرات الطبيعية للتصرفات البشرية. وطبيعة الإنسان يمكن تفسيرها كلها من خلال الثقافة. والاختلافات التي تبدو شديدة الارتباط بالخصائص البيولوجية الخاصة مثل اختلاف الأجناس، على سبيل المثال، لا يمكن ملاحظتها أبداً في حد ذاتها" في الحالة الأصلية"(الطبيعية)، لأن

الثقافة تستولي عليها مباشرة: التقسيم الجنسي للأدوار وللمهام في المجتمعات البشرية ينتج أساساً عن الثقافة، ولهذا نراها تتنوع من مجتمع لآخر.

2/2-المفهوم الأنثروبولوجي:

تعتمد أفكار الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن الثقافة اعتمادا كبيرا على أن مفهوم الثقافة مرادف لمفهوم الحضارة عند الانجليز، والفرنسيين ولكنه يختلف عند الألمان حيث يعني مجموعة الرموز، والقيم والحضارة تعني تنظيم المجتمع. بحيث يقول العالم الأنتروبولوجي الأنجليزي تايلور(E.B.Tylor) «الثقافة هي "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقاد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع[1]».

يتميز هذا التعريف بالموضوعية ويتمحور فيما صنعه الإنسان بعقله ويده وهو ظاهر على سلوك المجتمع ومؤسساته ولكن هل هو تعريف شامل للثقافة يمكننا من تصورها على حقيقتها؟ في الواقع هذا التعريف يركز على المظاهر الخارجية للثقافة أو ما يسمى حضارة لكن الثقافة ليست هي هذه المظاهر فقط بل هذه المظاهر وما سبقها من فعاليات عقلية وطاقات روحية، وعزم إرادي، وما يصاحبها من أساليب النقد والتغيير والتجديد والتعديل والتطوير المتواصل.

(1)- اندرو ادجار و بيتر سيدجويك: موسوعة النظرية الثقافية، ترجمة هناء الجوهري ومحمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، نيويورك، 2009، ص3.

وهكذا فالثقافة تشير إلى ما يبدوا لنا من مظاهر ثقافية كالسلوك والعادات والمؤسسات والأنشطة، وتشير أيضا إلى ما يسبق تلك المظاهر من فعاليات عقلية وروح متطلعة ومتدفقة نحو الخير والحق والجمال [1].

كما يمكن تعريفها بأنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه وتشمل الفنون، والآداب وطرائق الحياة والحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وأن الثقافة هي التي تمنح الإنسان القدرة على التفكير في ذاته وتجعل منه كائنا يتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي وعن طريقها يهتدي إلى القيم ويمارس الاختيار وهي أيضا وسيلة الإنسان في التعبير عن نفسه والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل وتدعوه إلى إعادة النضر في إنجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه.

3/2- الثقافة من منظور علم الاجتماع:

«La culture n’a jamais cultivée, et ne cultiveras jamais que les gents cultivés»

عبارة في غاية الدقة والعلمية لـ (بيار بورديو) Pierre Bourdieu حيث يبين المجتمعات والأفراد الذين يمكن أن يستفيدوا من فضائل وقيم الثقافة في سبيل الكرامة الإنسانية، والهدف الحقيقي للوجود الإنساني.

"بما أن الثقافة هي الأفكار والمعتقدات والقيم، فلا بد أنها تتضمن مجموعة هائلة ومتنوعة من القضايا، من ردود أفعال الأفراد حول حدث ما إلى وجهات النظر الأخلاقية

(1)- الأمم المتحدة. منظمة التربية و العلم و الثقافة (اليونسكو) :تقرير 2005- 2006. (د.ص).

المجسدة في ديانة معينة أو في رواية أدبية ما، ومن هذا المنطلق نجد الثقافة في كل مكان حولنا. فعلى سبيل المثال، هناك مجموعة هائلة من المنتجات الثقافية المنتشرة في مجتمعاتنا الغربية المعصرة من كتب ومجلات وصحف وأفلام وبرامج تلفزيونية ومواقع انترنت. ليس هذا فحسب بل أن طرق نشر هذه المنتجات مذهلة للغاية فبواسطة شبكة الاتصال الضخمة تصل هذه المنتجات وفي وقت قصير إلى أنحاء العالم كلها"[1].

يأخذ التعريف اللغوي السابق في التوسع والتعمُّق على يد علماء عديدين (جيرارد أودونيل)، ماكس فيبر، كارل ماركس، وغيرهم) ليصبح تعريفاً اصطلاحياً يُشير إلى طريقة الحياة التي تتمكن جماعة بشرية من تأسيسها لتكون مقبولةً من جميع أفراد الجماعة، وملائمةً لهم كمجموع، وهي طريقة تتضمَّن أساليب الإدارة وآلياتها، ونمط التفكير، وآداب السلوك والمعتقدات، أو منظومة الأخلاق والقيم التي تحكم الجماعة، وكذلك اللغة، ونمط العيش بما يتضمنه من مسكن ومأكل ومشرب ومن علاقات وأنظمة سلوك تؤسس التواصل بين الفرد والفرد، وبين الفرد والجماعة، وبين الفرد والطبيعة، وبينه وبين الوجود.

الثقافة إذنْ هي جماع الأنظمة المادية والروحية التي ابتكرها الإنسان لتحكم سلوكه فيما هو ذاهبٌ إلى الارتقاء بهويته وذاته ونمط حياته والإعلاء من شأن وجوده في الحياة عبر الانخراط في صيرورة هي الثابت الوحيد في هذه الحياة، وعبر الاحتفاظ بأبنية ثقافية تحملها اللغة إلى الأجيال اللاحقة كي تسكنها وتتولَّى تعديلها أو إعادة إنتاجها وفق حاجاتها وشروط تطورها.

ولأن إدوارد تايلور قد أحصى ما يزيد على مائتي تعريف للثقافة، فإنه خلص إلى تعريف شامل تمثل في مقترح مفاده أن "الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف

(1) – بن سالم كلينر، و آخرون: الانتربولوجيا الثقافية و التاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2007 ص 75.

والمعتقدات والفنون والآداب والأعراف والقوانين وغير ذلك من منجزات الإنسان كفرد أو كمجتمع. هذا التعريف المتداول بشكل كبير في الكتب، و الأعمال للكثير من التخصصات و الفروع في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

وربما نكون في حاجة إلى التمييز بين ثقافة مثقفة أو ثقافة عارفة، عالمة، وأخرى ليست كذلك، أي غير عالمة، أمية، جماهيرية، ذلك لأن الأولى تنهض على تأطير معرفي لتجارب الحياة، على تسمية لها وقبض معرفي عليها عبر القراءة والتحليل والاكتشاف والتجريد والتدوين والحفظ في مدونات معرفية، بينما تظلُّ الثانية مسكونةً بالمتخيل، وبالوهم، وبالأيدلوجية المتراكمة طبقات فوقها، وهو ما يجعلها في حاجة إلى تحليل يؤدي إلى امتلاكها معرفياً، وإلى تشذيب معرفيٍّ يُكسبها قدراً من الرَّشاقة التي تجعلها قادرةً على الخطو في محاذاة الثقافة العارفة، والانخراط في نسيجها[1].

« الثقافة الرمزية وحدها من يمكن أن تخلق العقلانية، لأن الثقافة الرمزية من الصعب إن لم نقل من المستحيل القضاء عليها أو تدميرها... في السبعينات من القرن الماضي قال الرئيس السابق (هواري بومدين) عبارة تجسد بشكل كبير الثقافة الرمزية ألا و هي: أن القنبلة النووية الحقيقية في المستقبل هي الملايير من البشر في دول العالم الثالث، الكبار في العالم ..... النفس بالرغم من أنها كلمة فقط...ولكن السر في ذلك هو أنه لم يواجه المادة بالمادة أو الأداة بالأداة، ولكنه وضع الرمز في مواجهة الأداة. ليضيف قائلا: كل قنابلكم لا يمكنها أن تصل إلى جوهر تضامننا الاجتماعي[2]».

(1)- منظمة اليونيسكو، مرجع سابق (د.ر.ص)

(2)–Mostefa Boutefnouchet : la société algérienne en transition,OPU,Ben Aknoun, 2004, p 27.

تبين هذه الفقرة (لمصطفى بوتفنوشات). نقطتين أساسيتين الأولى تتمثل في الأهمية البالغة للثقافة الرمزية نظرا لما يمكن أن تحققه بالنسبة لاستمرار التراث و الحضارة، و النقطة الثانية تتمثل في الأثر البالغ الذي يمكن أن تتركه في النفوس والوقع الكبير على تحقيق التكافل و التضامن الاجتماعي، بدل الصراع أو التفرقة التي تنتجها الكثير من الظواهر والممارسات من بينها الجهوية الإثنية.

هكذا تكون الثقافة أوسع من مجرد الإبداع الأدبي والفني أو الفكري، لتصبح حاضنة لإبداعات وابتكارات جديدة ولوسائل وأساليب وأدوات وطرق عيش، مبتكرة أو منقولة، تشبع حاجة ضرورية أو تكون كمالية تتوخَّى الترفيه أو التزيين أو التجميل، هادفةً في كل حال إلى تيسر الأمور وتسيير الحياة وحل المشكلات وحفظ المآثر والمنجزات، وإشباع الحاجات البيولوجية و الاجتماعية المعنوية.

ولعلنا نستطيع في ضوء ما تقدم، أن نقول إن الثقافة، في جانب مهم من مكوناتها ودلالاتها، هي حقول من الخبرات والتجارب والمنجزات المؤطِّرة لغوياً ومعرفياً والتي يمكن من خلالها تمييز الهويات!

وربما تكون اللغة بوصفها تحدد انتماء الأفراد لثقافة معينة، وربما تكون علاقة كل فرد بلغته هي جوهر العلاقة التي تُساعده على تملك ثقافة معينة، وهو الأمر الذي يعني أنَّ التمكن من اللغة مدخل لا غنى عنه للتمكن من الثقافة، وأن الأنماط اللغوية ليست مجرد أنظمة وأشكال فحسب وإنما هي عوالم بشرية، وبيوت مكتنزة بأشكال الحياة أي بالثقافة [1].

4/2- خصائص وعناصر الثقافة:

(1)- منظمة اليونسكو، مرجع سابق، (د.ص)

« في أمريكا يعتقد دائما أن مفهوم الثقافة يمكن أن يزودنا بطرق لتفسير وفهم السلوك الإنساني أنساق المعتقد، والقيم، والإيديولوجيات، وببعض أنماط الشخصية المميزة لثقافات بعينها.»[1]

– الثقافة بشرية و إنسانية: فهي إنتاج إنساني يختص به البشر دون غيره من المخلوقات الأخرى لأن له قدرات مختلفة بحيث تعمل كل ثقافة على إضافة أشياء خاصة بها ذلك ما يمكن تسميته بالخصوصية الثقافية وعلى المجتمع و مؤسسات التنشئة الاجتماعية أن تعمل على تنمية تلك القدرات التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات كتنمية أساليب التفاعل، التعامل، و التفكير السليم وتنمية الاستعدادات الذهنية و العقلية الخاصة بكل فرد.

– الثقافة تعلُمية تعليمية : فالإنسان يولد بالفترة بمعنى إنه لم يكتسب بعد عادات مجتمعه وطرق تفكيره واتجاهاته عن طريق عملية التفاعل الاجتماعي المباشر و غير المباشر ، والثقافة أنماط سلوكية قد يتعلمها الإنسان عن طريق الخبرات التي يمر بها التي تصل إليه من خلال الذاكرة الجماعية في إطار الموروث الثقافي.

– الثقافة عملية اتصال و تواصل: إذا كانت الثقافة تكتسب يمكن نقلها من جيل إلى آخر ومن مجتمع لآخر ومن فرد لآخر داخل المجتمع الواحد، وقد ساعد على نقل الثقافة وانتشارها تعدد وسائل الاتصال بين المجتمعات بعضها مع البعض وفي مقدمتها اللغة ومع التطور العلمي و التكنولوجي أصبحت الثقافة تنتقل بالصوت والصورة، في أشكالها البسيطة والمعقدة؛ المجتمعات التي تتوفر على مشاريع ثقافية بالمعنى الواسع للكلمة تسعى دائما إلى تشكيل وخلق نظام دفاعي لتجنب الزوال والذوبان في ثقافة الأخر الذي يفكر فقط في

(1)– بن سالم كلينر، و آخرون، مرجع سابق، ص 5.

مصالحه، وتصدير فقط ما هو استهلاكي أو سلبي، لذلك يجب تنمية أساليب التفكير الناقد لتمحيص الثقافات الأخرى للاستفادة من إيجابياتها وتجنب سلبياتها.

– الثقافة مُشبعة لحاجات الأفراد: تعمل على إشباع حاجات الأفراد المادية و المعنوية وتجنب الأفراد و المجتمعات الوقوع في الأزمات الاقتصادية، و الاجتماعية فهي تقدم لهم أساليب ثقافية يمكن من خلالها إشباع هذه الحاجات وتزودهم بوسائل تمكن من مواجهة المشكلات التي تلاقي الأفراد و الجماعات في حياتهم اليومية، كما تمكن الثقافة من وصول الأفراد إلى مرحلة تحقيق الذات، بحيث لا يبقى الفرد في حلقة التفكير في إشباع الحاجات البيولوجية باعتبار أنه خلق لأهداف أسمى في الحياة .

– الثقافة شاملة و متضامنة: تمارس الثقافة في إطار مبدأ الكل المتضامن و مبدأ الشمولية بحيث لا يمكن أن تمارس إلا و هي متصلة بين عناصرها تعمل منفصلة عن بعضها وإنما متفاعلة تفاعلاً مستمراً يتجه نحو تكوين نمط ثقافي متماسك يتصف بالاتساق مهما كان المجتمع متطوراً فاكتشاف الكهرباء مثلاً واختراع الآلات أدى إلى تعديل كثير من العادات والاتجاهات وأساليب العمل والسلوك وغيرها من عناصر الثقافة لذا ينبغي أن يراعي عند التخطيط لمشروع وتنفيذه الربط بين ما هو تاريخي، وما يتم اكتسابه من البحث العلمي خبرات في الحياة، ذلك ما يندرج ضمن مبدأ الكل المتضامن، فالمجتمع الذي يسعى لإعداد مشروع مجتمع يجب أن يأخذ بعين الاعتبار كل الخصوصيات للتجنب ظواهر مثل الجهوية الإثنية.

– الثقافة نسبية و متحولة : الثقافة في نمو مستمر وتحول دائم وللتغير الثقافي أسباب متعددة فقد يكون بسبب ظروف طبيعية كحدوث زلزال أو بركان أو اكتشاف موارد طبيعية تؤثر في حركة الحياة في المجتمع أو بسبب تعديلات أحدثها الأفراد ويتطلب تطوير

الأنماط الثقافية نحو الأفضل الاهتمام بالنظام التربوي و المنظومة التعليمية، العدالة، والعدالة الاجتماعية، لا يمكن لأي ثقافة أن تبقى على حالها ضمن قاعدة الانصهار و التعدد الإيجابي، و ما حدث تاريخيا لا يمكن إعادة عجلة الزمن إلى الوراء، فما حدث قد حدث؛ ولكن المهم إعداد إستراتيجية مجتمعية للمستقبل، بدل الدوران في حلقة مفرغة، والبقاء في دائرة الصراع الإيديولوجي الإثني والعنيف في بعض الأحيان.

5/2- مظاهر الثقافة:

للثقافة مظاهر كثيرة نذكر منها:

- **المعتقد:** يوظف مفهوم المعتقد بدل الدين في علم الاجتماع لأن المعتقد يشمل كل العقائد الدينية مهما كانت وليست بالضرورة رسائل سماوية،القيم و المعايير الروحية النابعة من المعتقد تأثير كبير على تقويم، و توجيه و مساعدة الأفراد في حياتهم بالمعنى الواسع للكلمة، و لكن ليس في كل المجتمعات و في كل الظروف فمن وجهة نظر الوظيفية النسبية؛ عنصر ثقافي مثل الدين يمكن أن يكون وظيفي في مجتمع و ليس كذلك في مجتمع أخر، و يكون وظيفي في فترة وليس وظيفي في فترة أخرى لنفس المجتمع الأمر الذي ينطبق على المجتمعات المسلمة بصفة عامة و المجتمع الجزائري على وجه الخصوص، كما لا يمكن فصل هذا العامل عل الظاهرة محل الدراسة (الجهوية الاثنية). وفي الأخير لا يجب أن تجاهل الدور الأساسي و المحوري الذي يمكن أن يلعبه الدين في حياة الأفراد من خلال إعادة التوازن لما هو روحي و معنوي من الناحية القيمية، و ما هو مادي بيولوجي.

فالثقافة مرتبطة بالدين، ولا يمكن أن تظهر وتنمو نموًا إنسانيا إلا إذا ارتبطت بالدين لأنه هو الذي يرسم للإنسان أسلوب الحياة الصحيح القائم على الإيمان بعقائد

روحية مثلى. ولاشك أن هذا الأسلوب هو الثقافة بالذات، من أجل تجنب كل حالات الاضطراب، و الصراع و لأن الدين عنصر ثقافي كان من المفروض العمل به من أجل استغلاله كعقيدة حيث تتطابق القوال مع الأفعال.

– اللغة: « تعد اللغة أحد أهم مظاهر السلوك البشري إن لم تكن أهمها على الإطلاق فخلافا لبقية المخلوقات لا يستخدم البشر اللغة لمجرد التعبير عن حالات شعورية أو أحاسيس غريزية، بل لتشكيل عقول بعضهم البعض[1]».

تكمن أهمية اللغة من الناحية الثقافية كونها الوسيلة التي يتواصل و يتفاعل من خلالها الأفراد، بالشكل المباشر و غير المباشر (من الناحية الزمنية و المكانية) ناهيك عن التفاعل العلمي و الفكري، حيث تعتبر اللغة من العناصر الثقافية المرتبطة ارتباط وثيق بالفكر الذي ينتجها و يطورها.« ...فاللغة و الفكر في تداخل و تفاعل مستمرين، و كلاهما يستمد حيويته من حركة التاريخ، الفردي و الجماعي. و النتيجة التي يصل إليها أركون من خلال نقد الأسس المعرفية للعقل الأصولي[2].

– **الفلسفة:** تتواجد الفلسفة كعلم وتخصص في المجتمعات التي تتوفر على ظروف التفكير والإبداع العلمي باعتبار أنها أم العلوم؛ التفكير الفلسفي تفكير علمي تأملي تركيبي ينتج المعارف الإنسانية كلها في مركب منطقي شامل معقول. والفلسفة بهذا المعنى موقف من الوجود والحياة والتاريخ؛ « الفلسفة هي التي تحافظ على مبدأ الحرية النقدية تجاه كل النزعات الدغماتية والإنغلاقات العقائدية. التي تميل دائما إلى التشكل تحت ضغط القوى الاجتماعية والإيديولوجية المتنافسة من أجل السيطرة على مختلف المواقع السلطوية

(1)- محمد الكوخي، مرجع سابق، ص 120.
(2)- كيحل مصطفى، مرجع سابق، ص 361.

والهيمنة على الرأسمال الرمزي[1] »؛ لكن الفلسفة لا تكتفي بالتركيب والتوفيق بل تعمد إلى النقد والتقييم والتقويم اللازمين لتوجيه العلوم والفنون والأفكار ومختلف النشاطات الثقافي.

« إن تدخل الفلسفة ضروري لكل ما ينجزه الباحث التاريخي و الأنتربولوجي و السوسيولوجي. و اللغوي... فالفلسفة بهذا المعنى هي موقف نقدي تجاه كل الخطابات التي تقدم نفسها على أنها خطابات تنص على الحقيقة، و بما تحققه من انقلاب أنطولوجي يقوم على تنشيط روح البحث القلق و تحولاتها المختلفة.[2] » . لذلك فان التفكير الفلسفي هو الذي ينعكس على المجال الثقافي و يتجسد في التراث المادي و اللامادي في حياة الأفراد و المجتمعات.

– **العلم:** يتميز الإنسان بالعقل و الفكر عن بقية الكائنات الأخرى، من خلال هذه الخاصية تمكن الإنسان شيئا فشيئا من الوصول إلى تحسين و تطوير ظروف وجوده، و تحقيق أهدافه السامية التي تتجاوز محاولة الحفاظ على البقاء؛ هذه المسيرة و المميزات الإيجابية التي تطبع حياة الإنسان يمكن التعبير عنها بمفهوم الثقافة. لاشك أن الثقافة تستمد وجودها من عدة مقومات. و العلم أبرز هذه المقومات، و العناصر؛ لكن العلم باعتباره حقائق معرفية قائمة على الموضوعية هدفه تخليص العالم من الشعوذة و السحر حسب (ماكس فيبر) عندما وصف علم الاجتماع بذلك؛ فهو لا يسعى فقط إلى تحقيق التطور المادي التكنولوجي فحسب لان ذلك من بين نتائجه التلقائية، و إنما الارتقاء بالإنسان لإدراك الهدف الحقيقي لوجوده.

فالعلم بهذه الصورة هو أساس التغير الذي حصل في تفكير الإنسان وسلوكه وقيمه، مما يؤكد أن العلم لا ينعكس على الجانب المادي فقط و إنما يمتد إلى الجانب

(1)- كيحل مصطفى، مرجع سابق، ص 359.
(2)- نفس المرجع، ص 360.

المعنوي للحياة الإنسانية، المجتمعات المتخلفة التي تنتشر فيها ظواهر مثل الجهوية الإثنية هي مجتمعات تعاني من فقدان هذا العنصر المهم و الحساس، و غيابه كمعيار تحتكم إليه المؤسسات و الممارسات الفردية و الجماعية.

6/2- الخصوصية الثقافية: وتختص بها جماعة معينة من أفراد المجتمع دون غيرها من الجماعات كالخصوصيات التي تسود بين أفراد مهن وأعمال معينة أو بين أفراد طبقات معينة ويكون لدى بقية أفراد المجتمع فكرة عنها ما يعرف بالخصوصية الثقافية في لغة علم الاجتماع التي يقصد بها التميز في السلوكات و الممارسات الاقتصادية، الاجتماعية، و السياسية عن باقي المجتمعات الأخرى، بالإضافة إلى التاريخ، و الفن، و الأدب؛ أما التميز بين الجماعات في المجتمع الواحد يُعبر عليه في مجال العلوم الاجتماعية بالثقافة الفرعية.

7/2- المتغيرات البديلة: إذا كان هناك شيء مطلق في العلم، والثقافة، والمجتمع فهو النسبية، بحيث لا يمكن أن يبقى أي عنصر ثقافي أو ظاهرة اجتماعية على حالها أي في حالة ثبات و نفس الشكل في الممارسة و الإنتاج و من أمثلة ذلك مختلف الظواهر التي تظهر و الأخرى التي تختفي و تلك التي تتغير طريقة ممارستها وتعمل الذاكرة الجماعية على نقل التراث الثقافي اللامادي من أجل الحفاظ على خصوصية و وجود المجتمع من الناحية الثقافية بالمعنى النبيل للكلمة؛ و إلا فإنها سوف تزول.

كما أنها تمثل تلك الديناميكية وحالة اللاثبات التي تتميز بها الحياة الإنسانية، فقد يكون التغيير نحو الأفضل أو العكس.

3- الشبكة الوضعية الوظيفية

يعالج هذا المحور النظرة التي تفترض إمكانية الالتحاق بالغرب النموذج و من ثمّ طرح فكرة وجود الحداثة في المجتمعات غير المجتمع الغربي ونخص بالاسقاط المجتمعات العربية المسلمة عامة والمغاربية على وجه الخصوص.

1/3- البنيوية الوظيفية عند تالكوتبارسونز(النظرية العامة للفعل)

Talcott Parsons 1902-1979 .

يعد (بارسونز) من أهم العلماء الرافضين للبحوث الامبريقية الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين، رغبة منه في بناء نظرية سو شديدة الارتباط بعلوم الإنسان الأخرى (اقتصادية، سياسية، سيكولوجيا...) دون هيمنة أي منها على الأخرى، وهذه الصيغة معقدة في حد ذاتها لذلك تبقى نظرية (بارسونز) صعبة وتأخذ اتجاهات وتشعبات غير منتظرة.[1]

انطلاقا من تصوره للمجتمع كمنظومة قدم (بارسونز) نموذاجا يمكن من خلاله فهم المنظومة الاجتماعية في كليتها، يلخصه في أربعة وظائف أولية وذلك من أجل التجسيد والدفاع عن نظرته التي تتمثل في وظيفية المجتمع.

أ)-الوظائف الأولية والأنساق الفرعية

1-وظيفة تكييفAdaptation نسق الفعل وعناصره مع الظروف الشاملة للمحيط الاجتماعي وخاصة الفزيقية، أي الخارجة عن حقل الفعل الاجتماعي مما يضمن بقاء المجتمع و استمراره.

- وظيفة تحقيق الغايات الجماعيةGoal Attainmentg :وهي أهداف نسق الفعل وأهداف أجزاءه. لأن المنظومة لا تقوم بوظيفتها إلا إذا اتجهت صوب هدف ما.

(1)- جان بيار دوران، روبير فايل، مرجع سابق، ص 197.

- **وظيفة الاندماج الداخليIntégration** : (أفراد وجماعات) مشاركة كل طرف في السير الحسن للمجموعة لأنها تنسق بين الأفراد والجماعات.

- **وظيفة الإبقاء على نماذج المراقبة التي تؤمن استقرار النماذج الثقافية:Latency أو (Latent Pattern)** . والتي تؤمن استقرار النماذج الثقافية، ويتعلق الأمر بإعادة الإنتاج، والإبقاء على القيم، والأنساق الرمزية، والرموز المهيكلة لها، ...فهذه الوظيفة هي وظيفة القبول والمرجعية لنسق قيمي مشترك.[1]».

يقوم النسق العام للفعل عند (بارسونز) على هذه الوظائف الأولية، ويعتبر نموذج A.G.I.L هو النموذج النظري المحلل لأي نسق فعل عام، حيث يظهر بوضوح من خلال هذا النموذج التوجه الايديولوجي الوظيفي؛ الذي يسعى دائما إلى الحفاظ على النظام القائم بقاعدة يبقى النظام جيدا إذا كان يعمل.

« تتوافق مع كل وظيفة من هذه الوظائف منظومة ثانوية، فالمنظومة الثانوية الاقتصادية والتكنولوجيا تستهدف التكيف، والمنظومة الثانوية السياسية مكلفة بتحديد الغايات، والمنظومة الثانوية الثقافية (دين/ مدرسة) مكلفة بتحديد المعايير والقيم وبصيانتها، أخيرا المنظومة الاجتماعية مكلفة بالاندماج الاجتماعي[2]»

وعليه فإن « تحليل الفعل الاجتماعي يقوم عند (بارسونز) انطلاقا من نظام الفعل الاجتماعي: إنه اختيار منهجي شمولي. هذا النظام أو النسق يتفكك إلى أربعة أنساق فرعية، مستقلة، مصنفة حسب درجة التعقيد التنازلية:

(1)-المرجع نفسه، ص 199.
(2)- فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه، مرجع سابق، ص 109.

النسق الفرعي الثقافي؛ النسق الفرعي الاجتماعي؛ النسق الفرعي للشخصية(النفسي)؛ النسق الفرعي للنظام البيولوجي التكيفي. [1]»

1. النسق الفرعي الثقافي(Cultural System)

يُعدّ النسق الثقافي أعلى الأنساق الفرعية من حيث التجريد والتعقيد، وهو الإطار المرجعي الذي يزوّد الفعل الاجتماعي بالمعاني والقيم والمعايير. يتمثل هذا النسق في منظومة الرموز المشتركة، مثل القيم الأخلاقية، المعتقدات، الأيديولوجيات، التقاليد، واللغة، والتي تُوجّه سلوك الأفراد وتُكسبه الشرعية والمعنى.

يرى بارسونز أن الثقافة لا تُمارس الفعل مباشرة، لكنها تؤثر فيه بصورة غير مباشرة من خلال ضبط الاختيارات الممكنة أمام الفاعلين الاجتماعيين. فهي تُحدّد ما هو مرغوب فيه وما هو مرفوض، وتُرشد الأفراد إلى أنماط السلوك المقبولة اجتماعياً. كما يتميز هذا النسق بدرجة عالية من الاستقرار النسبي، إذ يميل إلى الاستمرار عبر الزمن مقارنة ببقية الأنساق، مما يجعله عاملاً أساسياً في تحقيق pattern maintenanceأو الحفاظ على الأنماط. ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية، تنتقل القيم والمعايير الثقافية من جيل إلى آخر، ما يضمن استمرارية النظام الاجتماعي.

وعليه، فإن النسق الثقافي يشكل الخلفية الرمزية التي تمنح الفعل الاجتماعي اتساقه ومعقوليته، ويُعد شرطاً أساسياً لفهم أي سلوك اجتماعي داخل نسق بارسونز الكلي.

2. النسق الفرعي الاجتماعي(Social System)

(1)- Jean Pierre Delas, Bruno Milly, OP CIT. P 302.

يمثل النسق الاجتماعي مجال التفاعل المنظم بين الأفراد، حيث تتحدد الأدوار والمكانات الاجتماعية وفق توقعات معيارية واضحة. ويركّز هذا النسق على العلاقات المتبادلة بين الفاعلين داخل البُنى الاجتماعية مثل الأسرة، المدرسة، المؤسسات، والدولة. في هذا المستوى، لا يُنظر إلى الفرد بوصفه ذاتاً نفسية، بل بوصفه شاغلاً لمكانة اجتماعية يؤدي دوراً محدداً تحكمه قواعد وضوابط. ويُعد الامتثال لهذه التوقعات شرطاً لتحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعي.

وظيفياً، يضطلع النسق الاجتماعي بمهمة integrationأو التكامل، أي تنسيق أفعال الأفراد وضبطها بما يضمن الانسجام بين مختلف الوحدات الاجتماعية. كما يعمل على إدارة الصراعات وتنظيم التعاون من خلال القوانين والأعراف.

ويؤكد بارسونز أن النسق الاجتماعي يعتمد في استمراره على الثقافة كمصدر للشرعية، وعلى الشخصية كمصدر للدافعية، مما يجعله حلقة وصل مركزية بين التجريد الثقافي والدافعية الفردية.

بذلك، يُعد النسق الاجتماعي البنية التنظيمية التي يتحقق داخلها الفعل الاجتماعي في صورته الجماعية والمؤسسية.

3. النسق الفرعي للشخصية(Personality System)

يرتبط نسق الشخصية بالبعد النفسي للفعل الاجتماعي، ويشمل الحاجات، الدوافع، الاتجاهات، والميول التي تحرّك سلوك الفرد. ويرى بارسونز أن الشخصية ليست كياناً معزولاً، بل تتشكل من خلال التفاعل المستمر مع النسقين الثقافي والاجتماعي، خاصة عبر التنشئة الاجتماعية.

تتمثل الوظيفة الأساسية لهذا النسق في goal attainmentأو تحقيق الأهداف، حيث يقوم الفرد باختيار الأفعال التي تُشبع حاجاته ضمن الحدود التي تفرضها القيم الثقافية والمعايير الاجتماعية.

كما يُبرز بارسونز أهمية التوازن بين الدوافع الفردية ومتطلبات النظام الاجتماعي، إذ إن أي خلل في هذا التوازن قد يؤدي إلى الانحراف أو التوتر النفسي.

وتُعد الشخصية وسيطاً حيوياً بين المعايير المجردة (الثقافة) والبنى التنظيمية (المجتمع)، لأنها تُحوّل القيم إلى دافعية داخلية، وتُترجم التوقعات الاجتماعية إلى سلوك فعلي. وعليه، فإن فهم الفعل الاجتماعي يقتضي تحليل البناء النفسي للفرد، دون فصله عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي يعمل داخله.

4. النسق الفرعي للنظام البيولوجي التكيفي(Behavioral Organism)

يُمثل النسق البيولوجي التكيفي القاعدة الفيزيولوجية للفعل الاجتماعي، ويشمل البنية الجسدية، القدرات العصبية، والطاقات العضوية التي تمكّن الفرد من التفاعل مع بيئته. وهو أقل الأنساق تجريداً وأكثرها ارتباطاً بالعالم المادي.

تتمثل وظيفته الأساسية في adaptationأو التكيف، أي تمكين الكائن البشري من الاستجابة لمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية من خلال النشاط الجسدي والسلوكي. لا ينظر بارسونز إلى هذا النسق بوصفه محدِّداً مباشراً للسلوك الاجتماعي، لكنه يُعد شرطاً ضرورياً لحدوث الفعل، إذ لا يمكن تحقيق الأهداف أو أداء الأدوار دون توفر الحد الأدنى من الكفاءة البيولوجية.

كما يؤكد أن هذا النسق يخضع لضبط الأنساق الأعلى، خاصة النسق الثقافي والاجتماعي، حيث يتم توجيه الطاقات البيولوجية وفق معايير وقيم اجتماعية محددة. بذلك، يشكل النظام البيولوجي الأساس المادي الذي يقوم عليه الفعل الاجتماعي، دون أن يختزل معناه أو دلالته الاجتماعية.

وعلى هذا الأساس يحتل النسق الثقافي عند(بارسونز) أعلى مرتبة في نسق الفعل يليه النسق الاجتماعي، فالشخصية ثم هيئة السلوك في الأخير العوامل الفيزيقية التي لا تقبل المراقبة في تراتبية على التحكم (لفاينر) (N. Wrener) فعلى الأفراد التكيف معها وإلا اختفوا.

ب)النسق الاجتماعي والمجتمع: وهو الموضوع الخاص بالسوسيولوجيا، حيث يخصص حيزا واسعا للتفاعل الاجتماعي وفعل الفاعلين، ولكن لا يقصد (بارسونز) بالفاعلين أشخاص أو أفراد، بل مجموعات وجماعات، طبقة اجتماعية، قرية، ناحية أمة...الخ، وهو بذلك يتجاوز التحليل البيشخصية

وحده هذا التصنيف يسمح بتطبيق مخطط (بارسونز) للتفاعل على جميع مستويات الواقع الاجتماعي، وبالتالي تجاوز عقبة العلاقات الشخصية.

ويميز (بارسونز) الوظائف الابتدائية الأربعة التي تنتج الأنساق الفرعية الأربعة التالية في النسق الاجتماعي: (ويعتبر بارسونز أن المجتمع كذلك هو نسق فرعي مع محيطه المتكون من الأنساق الفرعية الأخرى).

-«**نسق الإبقاء على النماذج الثقافية:** يبحث (بارسونز) على أسس المشروعية الثقافية في الالتزام بالقيم المتغلغلة في أعماق المجتمع، وهذا دليل على أهمية القيم في امتثال الأفراد، كما يعتبرها (بارسونز) عاملا مركزيا في صيرورة التحديث.

-**تشكل الطائفة المجتمعية:** وتفي الولاء للجماعة التي ينتمي إليها الفرد من خلال التمايز في المكانات والأدوار، وهذا في إطار المعايير الهادفة من خلال احترامها.

-**النسق السياسي:** هدفه تحقيق نهايات الجماعية (ميزة المجتمع الحديث) الحماية وتحقيق الأمن، الحقوق والواجبات.

-**النسق الاقتصادي والتكنولوجي:** السير الفعال للموارد والتكيف مع المحيط الخارجي من خلال التبادل، التوزيع، الملكية، العقد، والنقد، تقييم العمل (الأدوار المتباينة). [1]»

- يولي (بارسونز) أهمية كبرى للأنساق الفرعية المتمثلة في النسق الثقافي وهيئة السلوك ونسق الشخصية، ويضيف إليها المجتمع كنسق فرعي، بحيث جعل من مفهوم الاندماج بين الشخصية والمجتمع القائم على مكانة الانتماء: وبالتالي لا يكون المجتمع مستقلا إلا بالاعتماد على انجازات أفراده، استيعاب نسق الشخصية للمعايير والقيم الاجتماعية أمر في غاية الأهمية.

يميز (بارسونز) تطور الأنساق الاجتماعية إلى ثلاثة أنواع من التطور البدائية، الوسيطة، والحديثة.

الانتقال إلى الكتابة التي أحدثت انتشارا ثقافيا أوسع من المنطوق الشفوي وبالتالي تمكنت الأنساق الثقتافية التي عرفت الكتابة من كتابة تاريخها.

والمرور من المرحلة الثانية إلى الثالثة يعتمد على مؤسسة القانون القادر على تحديد المبادئ العامة، هذا الذي يصفه فيبرر العقلانية الصورية) وكذلك أولوية العام على الخاص وذلك ما يميز المجتمعات الحديثة.

(1)- جان بيار دوران، روبير فايل، مرجع سابق، ص 202.

ويرى (بارسونز) أن التغيير التطوري يحدث من خلال المسارات الأربعة المتطابقة مع الوظائف الأربعة الكبرى، ويتعلق الأمر ب تعميم: القيم، الإدماج، التمايز، التحسين التكيفي، ويعتبر التمايز أهم مسار لأنه يعني تقسيم وحدة أو بنية من نسق اجتماعي إلى اثنين أو أكثر وتختلف خصائصها وجدلالتها الوظيفية بالنسبة للنسق ومبادئ هذا التطور الاجتماعي هدفها المدى البعيد (وهو اقتباس عن البيولوجيا).

أما التغيير الاجتماعي على المدى القصير وهو الموضوع المميز للسو بالنسبة للتطور الاجتماعي، يميز (بارسونز) بين: تفسير التوازن وتغيير البنية.

تغيير التوازن لا يمس سوى الوحدات والأنساق الفرعية ومعناه حلول التوازن الجديد محل التوازن القديم بعد الاضطراب دون تعديل في مميزات النسق الكلي.

ج) تغيير البنية: تأتي من عوامل خارجية تصدر عن الأنساق الفرعية للنسق الكلي، أو عوامل التغيير تصدر داخليا (خاصة التوترات الداخلية للنسق الاجتماعي، وغالبا ما يشترط هذا النوع من التغيير تحولا في القيم وتعديلا في النماذج.[1]

أما تغيير التوازن فهو بمثابة إجراء منهجي يُثبت وضعية لتحليلها ثم دراسة تغييرها، فهو لا يمس سوى الوحدات والأنساق الفرعية الشاملة؛ أي حلول التوازنالجديد محل التوازن القديم بعد حالة من الاضطراب **دون تعديل في مميزات النسق الكلي.**[2]»

وذلك عبارة عن إجراءات، وتخطيط دوري لمواكبة التغيرات التي تحدث في ذات البنية الاجتماعية أو الاقتصادية، السياسية، والثقافية.

د) بعض الانتقادات لنظرية بارسونز:

(1)- المرجع نفسه ، ص 204/203.
(2)- المرجع نفسه، ص 205.

حسب (غي روشي) فإن نظرية (بارسونز) أكثر اصطلاحية من كونها نظرية بامتياز أنها سلم واسع من المقولات والتحليلات المرتبة الواحدة فوق الأخرى، مما يصعب عملية تفسير الظواهر الاجتماعية، لأن هناك نسبة قليلة من السببية في نموذج (بارسونز)، بخلاف ما يوجد في النسق التفسير (لماركس).الديناميكية–والصراع– غائبان حسب (غي روشي) و(ميلز رايت). ويعتير هذا الأخير من أكثر المنتقدين للنظرية العامة للفعل؛ من خلال عدم استفسار (بارسونز) عن الأصل، والدور الإيديولوجي للقيم، وإصراره على الحفاظ على النموذج (الاستقرار العادي) [1]»

كما وجه له انتقاد آخر، "حيث أن العلم يتطلب مجموعة من الافتراضات العامة لربط جميع المقاولات (الإطار المفاهيمي) ويستحيل أي تفسير دون ذلك" مما يوقع التحليل في جانبه التجريدي.

وينتقد (بارسونز) بعودته إلى التطورية التي عارضها في البداية، والبعد التطوري في نظريته يركز على مفاهيم: التمايز–التلاؤم–والتعقيد. وهنا نجد نوع من المركزية الثقافية بحيث يرى في المجتمع الأمريكي اكتمال المسار التطوري.

عدم الاهتمام بالتاريخ وهو انتقاد (آلان توران) حيث عوض(بارسونز) التوجيهات المعيارية للفعل التاريخي بالتطورية وتحول المحيط الاجتماعي، وفي نفس السياق يضيف (غي روشي) (ترى سو بارسونز وجود قيم ومعايير مكسبا دون أن نتساءل على مصدرها ولا عن مسار خلقها وتطورها" إيديولوجية تعمل بصفة واضحة على إضفاء الشرعية على قوى الهيمنة الثابتة" حسب (رايت ميلز).

(1)- Jean Pierre Delas, Bruno Milly, **OP CIT**. P 308

الانـدماج بـدل الصـراع مـن هنـا نتضـح إيديولوجيـة النظريـة الوظيفيـة بصـفة عامـة (فيردناندتونيز) ألماني: هي الإرادة الطبيعية التي تسيطر على المجتمعات المحلية المتعاقدة الإرادة العقلانية.[1]

حـاول (بارسـونز) الاسـتفادة مـن أفكـار (مـاكس فيبـر) وتكييفهـا مـع خصوصـية المجتمعالأمريكي لكن يبدو أن التوجه الايديولوجي الرأسمالي بتأثير من الممولين للدراسات السوسيولوجيا وقت ذاك أثرا إلى درجة هيمنة الايديولوجيا على العلم خاصة من خلال تجاهل التاريخ، والتفسير السببي للظواهر الاجتماعية .

« كما قدم التفاعليون مثل(ستروس، فريدسون) انتقاد شرعية السلطة لبعض المُسيطرين (كالأساتذة les professeures، المحامون، الاطباء، المهندسون). الذين اعتبرهم ثمرة الحداثة دون البحث في الأسس الاجتماعية، والتاريخية. [2]»

2/3- الوظيفية عندRobert Kingrerton (1910-2003)

حاول الكشف عن العلاقة بين النظرية السوسيولوجيا والبحث الإمبريقي، وفي ذات السياق وجه انتقاد لمعاصريه فيما يخص التعميم الإمبريقي للدراسات السوسيولوجيا مؤكداُ استحالة بناء نظرية عامة بالنظر إلى مستوى التقدم العلمي للاختصاص (نظرية متوسطة البعد).

أكد (ميرتون) على أهمية اسهامات البحث الإمبريقي في النظرية السوسيولوجية، بحيث لا يكتفي هذا الأخير بالتحقق ومراقبة الفرضية بل يعمل على توسيع وإعادة التأسيس والتوجيه والتوضيح للنظرية العلمية، كما يشير إلى إمكانية ملاحظة معطى غير منتظر، يوفر فرصة بناء نظرية جديدة، كما حاول تجاوز السوسيولوجيا التكميمية التي كان يتزعمها (بول

(1)- جان بيار دوران، روبير فايل، مرجع سابق، ص 210

(2)-Jean Pierre Delas, Bruno Milly, **OP CIT** , P 308.

لزار سفيلد)، والسوسيولوجيا النظرية التي يتزعمها (تالكوتبارسونز)، وذلك كتابه " عناصر النظرية والمنهج السوسيولوجي" « يطرح بدعابة، التعارض بين هذين، هناك، كما يقول الامبيريقيون المهمومون بصلاحية المعطيات وبتدقيق الوقائع، ثم هناك المنظرون "الجسورون" في صياغة التعميمات الكبرى. تقول الفئة الاولى: "نعلم أن هذا صحيح، لكن نجهل فيما إذا كان له معنى، وتقول الفئة الثانية:" نعرف أن لذلك معنى، لكن نجهل فيما إذا كان صحيحا" بذل (ميرتون) جهده إذن في تبيان التأثير المتبادل بين النظرية والبحث الامبريقي. [1]»

أ) نقد الوظيفية المطلقة

– **مسلمة الوحدة الوظيفية:** «وظيفية العناصر الثقافية والنشاطات الموحدة للنسق الاجتماعي برمته، ولكن (ميرتون) ينتقد هذه الوحدة، التي يكذبها الواقع بصفة دائمة، فالمستوى العالي من الاندماج الاجتماعي الذي يصفه علماء الإثنولوجيا الوظيفية مرده جهل المجتمعات المدروسة للكتابة، وفي هذا الصدد يقول"قد تكون ممارسات أو أحاسيس اجتماعية وظيفية بالنسبة لجماعات وقد تكون غير ذلك بالنسبة لجماعات أخرى، في المجتمع نفسه" [2]»مثل ما هو الحال بالنسبة للدين فقد يكون مصدر اندماج أو صراع خاصة في المجتمعات المتعددة الطوائف. أو وجود قيم متعارضة معقيم غير دينية، حبوب منع الحمل، العرف، الميراث.

– **مسلمة الوظيفية العامة:** كل العناصر الاجتماعية والثقافية تؤدي وظائف سوسيولوجيا ولكن (ميرتون) يرى أن هذه المسلمة لا يمكن أن تدوم أو تحقق نتائج قيمة وبعيدة المدى (العنصر الثقافي ليس بالضرورة وظيفي) يمكن أن يكون لا وظيفي. وكمثال على ذلك فان

(1)- فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه، مرجع سابق، ص 111.
(2)- جان بيار دوران، روبير فايل، مرجع سابق، ص 188.

«...السجن في مجتمعاتنا يملك عدة وظائف: معاقبة المجرم، وحماية المجتمع، كما يمكن له أيضا أن يصبح جزيرة إجرام تعيد فيه ثقافة الإجرام إنتاج نفسها. [1]»

– **مسلمة الضرورة:** تعتبر وجود كل عنصر على أنه ضرورة لابد منها في سير الكلية العضوية، بينما يقدم (ميرتون) تفسيرا آخر للأداء الوظيفي، حيث تستطيع عناصر متبادلة ان تؤدي نفس الوظائف الضرورية لبقاء الجماعات، مثلما يكون لعنصر واحد وظائف عدة، كذلك يمكن لعناصر متبادلة أن تؤدي وظيفة واحدة، وهو ما يستدعي مصطلح البدائل الوظيفية، وبذلك يمكن إبعاد الأحادية والضرورة الوظيفية لكل عنصر.[2]»؛

ومن أمثلة ذلك أن لاحتفالات المطر عند هنود (هوبي Hopi) دافع واعي لاستهطال المطر؛ ويقبل الاثنولوجي بوجود وظيفة أخرى –خفية– لهذه الاحتفالية السحرية، ألا وهي المحافظة على تماسك الزمرة مثلا. [3]».

ب) اسهامات ميرتون في التحليل الوظيفي

أثمرت أبحاث (ميرتون) بمفهوم (الاختلال الوظيفي) وحسبه يمكن لبعض العناصر أن تكون وظيفية بالنسبة لمجموعة اجتماعية أو ثقافية، وأن تخل بوظيفته مجموعة أخرى، وعليه: الاختلال الوظيفي مرتبط بمفهوم التوتر مما يستدعي إثارة مفهوم الديناميكية الاجتماعية، وهو مفهوم جوهري في المقاربة الوظيفية وهو أداة في وصف التغير الاجتماعي.

يميز (ميرتون) بين الدوافع والاستعدادات الذاتية من جهة، والمخلفات الموضوعية من جهة أخرى، (النية الذاتية) والنتائج الموضوعية.

(1)- فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه، مرجع سابق، ص 112.
(2)- جان بيار دوران، روبير فايل، مرجع سابق ، ص 189.
(3)-فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه، مرجع سابق، ص 112.

وهناك وظيفة خفية ووظيفة (متجلية).

مثال: الوظيفة المتجلية من تكديس وادخار المنتجات في تلبية الحاجات المناسبة، ولكن هذا المثال لا يفسر الدوافع التي تقف وراء اقتناء المنتجات الثمينة والسيارات الفخمة الوظيفة الخفية لا تكمن في السعي وراء الترف، فحسب بل أيضا بإظهار مكانة اجتماعية راقيةراقية، لذلك يركز (ميرتون) على ضرورة إظهار والوصول إلى الوظائف الخفية والمتجلية التي يؤديها التنظيم المراد تغيره إذا لم تكتشف هذه الوظائف فإنه عبارة طقوس اجتماعية عوض أن تكون هندسة اجتماعية. لذلك يقول: « البحث عن تغيير اجتماعي دون التعرف عن الوظائف المتجلية، والخفية التي يؤديها التنظيم المراد تغييره ما هو إلا أداء طقوس اجتماعية عوض إن يكون هندسة اجتماعية. [1]»

« وفي عام 1942 عاد (ميرتون) إلى موضوعه المفضل وحدد "القيم" المناسبة للذهن العلمي، وبدت له أربعة مبادئ أساسية:

– الكونية التي تقبل بأن المعارف العلمية مستقلة عن الأفراد وأرائهم وثقافتهم اوقوميتهم ودينهم.

– النزعة الجماعية أو المشتركة communalisme التي تدافع عن فكرة تقاسم المعرفة في قلب الجماعة.

– النزاهة التي تفترض أن العالم يعمل من أجل المعرفة الخالصة، وأنه مستقيم وأمين تجاه النتائج التي يقدمها.

(1) المرجع نفسه، ص 190.

– وأخيرا النزعة الشكية، التي تتبنى موقفا نقديا وتشكيكيا ملائما لتقدم المعرفة[1]»

وبهذا يكون (ميرتون) قد حاول أن يقدم ميدانا جديدا في السوسيولوجيا من خلال هذه القيم التي يجب أن يتصف بها العلم، بعيدا عن الخضوع للدين، والسياسة.

تعددت المفاهيم التي استعملها (ميرتون) بين الوظائف الخفية المتجلية، الاختلال الوظيفي.

ج) نقد التحليل الوظيفي عند ميرتون

«حاول أن يظهر ليس محافظا ولا ثوريا بل حيادي ولكن هذا لا يعني أن الاتجاه الثوري والمحافظ غير موجودان ضمنيا في أعمال هذا الأخير.

جاءت الوظيفية بعدة مفاهيم (الدور المكانة الوظيفة، التجلية البنية...الخ وأبحاث ميدانية مع ذلك تبقى وصفية لا تفسر أساس ووظيفة النسق لذلك فإن الوظيفة كمفهوم جوهري في هذا التيار لابد من ربطها بالسبب الذي أنتجها وذلك ما لم تفسره هذه النظرية.

–إهمال الجانب التطوري للعلاقات الاجتماعية، غير مدروسة التركيز على جزء فقط من البناء(micro sociologie)، كما يبقى المدى التطوري للعلاقات الاجتماعية البيفردية interindividuel) غير مدروس عند ميرتون [2]».

(ميرتون) لا يصف التغيير الاجتماعي لأنه لا يملك وسائل ذلك وحده مصطلح الاختلال الوظيفي يساعد على التفسير لأن ذلك لا يحدد فقط قواعد الاستقرار الاجتماعي بل منابع التغيير الاجتماعي. تترك القراءة المتأنية لأعمال (ميرتون) انطباعا بفشله في استعمال منظم لنموذجه النظري (المتسم بالعمومية، وشدة التعقيد، وثقل في الاستعمال؟).

(1)-فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه، مرجع سابق، ص 114
(2)- جان بيار دوران، روبير فايل، مرجع سابق ، ص 196.

4-الشبكة التاريخانية

تكملة للمحاضرة السابقة هذه المحاضرة ستعالج النظرة التي ترفض فكرة وجود الحداثة بصورة مكتملة حاليا من وجهة نظر استحالة التطبيق الكلي والشامل لقيم ومبادئ الحداثة الغربية في المجتمعات غير الغربية وذلك يعود إلى عامل أساسي ومهم وهو الخصوصية الثقافية بالمعنى الواسع للكلمة فعوض التوجه إلى الدراسات والأعمال السوسيوتاريخية للعلماء والباحثين المغاربيين؛ إذا ما ركزنا على هذه المجتمعات التي ننتمي إليها مع إنشاء مدارس متخصصة في هذه الأعمال والإسهامات، أصبح توجه الدراسات في مجال علوم الإنسان والعلوم الاجتماعية على وجه الخصوص يتجه نحو الدراسات الغربية؛ والإشكال لا يكمن هنا باعتبار إمكانية الاستفادة من هذه الدراسات والبناء عليها من اجل محاولة الانطلاق، لكن الإشكال الحقيقي يكمن في طريقة التعامل مع هذه النظريات الغربية التي تستورد كما هي ويتم تدريسها للتلاميذ و للطلاب في مؤسسات التعليم و الجامعات، دون أدنى نظرة نقدية أو محاولة للتنقيح والتكييف وفق الخصوصية الثقافية لهذه المجتمعات.

« وفي هذا السياق نجد (عبد الله العروي) في مقدمة كتابه " مجمل تاريخ المغرب" أكد على أن التجديد يتطلب ظروفا ذهنية واجتماعية، جماعية وفردية لا تتحقق إلا بشروط كثيرة وفي أمد طويل. ويعتبر أن التاريخ فن قبل أن يكون علما.[1]»، هنا يحضر مفهوم التاريخ عند ابن خلدون الذي كان مصدر اكتشافه للعلم الجديد (العمران البشري).

ما قام به ابن خلدون في القرن الرابع عشر يعتبر طفرة نوعية في الفكر الإنساني بصفة عامة، والمغاربي على وجه الخصوص حيث تناول بشكل عبقري مختلف الظواهر المجتمعية في ذلك الوقت خاصة الظاهرة السياسية بالمعنى الواسع للكلمة التي كان لها الاثر البالغ على باقي جوانب الحياة في هذه المجتمعات، خاصة من خلال مفهوم

(1) مراد بلخيري،**في سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي**. ط1 .الجزائر، دار الباحث للنشر و الاشهار، 2022، ص 196.

العصبية، لذلك فان النظرة الرافضة لفكرة وجود الحداثة يعود منشؤها إلى إسهامات هذا العالم وفي ما يلي سنتطرق بشكل مختصر لمفهوم العصبية مع محاولة ربطه بمفهوم الرابط الاجتماعي.

1/4- العصبية والرابط الاجتماعي في المجتمعات المغاربية:

من بين العلماء الذين توصلوا إلى تحقيق الموضوعية في الدراسة التاريخية ثم العمران البشري والاجتماع الإنساني العلامة "ابن خلدون" الذي افتك موضوعه من التاريخ، حيث انطلق من الميدان إلى التنظير ذلك الذي ساهم بشكل كبير في اكتشافه لمعالم علم جديد، وباعتبار موضوع هذا البحث يحمل بعدا سوسيو ثقافيا وظاهرة ناجمة عن أزمة بناء دولة وكذا علاقة النظام القبلي بالدولة، و الجانب النفسي الاجتماعي، الإيديولوجية، بالإضافة إلى تخصص الأنتربولوجية، والإثنوغرافيا؛ كانت نظرية العصبية (لابن خلدون) الأقرب، لمعالجة ودراسة ظاهرة الجهوية الإثنية لأن العصبية نظرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

« والدليل على أهمية هذا المفهوم وقيمته بالنسبة للمجتمعات المغاربية ذكره "ابن خلدون" حوالي 500 مرة في مقدمته مما يدل على اهتمامه الكبير بهذا الموضوع ويقول في هذا الصدد "فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية»[(1)]. يضيف "ابن خلدون" « فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية» الأمر الذي يعني أن ابن خلدون استعمل العصبية تحت معان وكثيرة باتجاهات عديدة الأمر الذي صعب على شراح "ابن خلدون" ترجمة مفهوم العصبية.

1- عبد الغني مغربي: مرجع سابق ، ص 43.

وبالرغم من أن العصبية لها نفس المظهر ولكن ليس لها نفس الجوهر ونفس النتائج، وذلك باختلاف المجتمعات وأزمنتها، كان مفهوم العصبية عند "ابن خلدون" يحمل معنى سياسي أكثر منه اجتماعي وأعطى للعصبية أربع مستويات، والذي "ينضوي على ثلاث عناصر متطابقة عنصر بيئوي (البادية)، وعنصر إحيائي النسب الثنائي، وأخيراً عنصر أخلاقي الوقار، والعصبية في مستواها الأول « تدل في الواقع على الترابط الدموي بين أعضاء الجماعة. وفيما بعد حين قيام العصر الإسلامي حرم القرآن الكريم العصبية في آيات عديدة، وما كان يستنكر في العصبية هو بالضبط قرابة الرحم و القرابة بالعصب. وذلك لأن المحافظة على المجموعات التي تحددها رابطة الدم، ونعني بذلك، المجموعات التي...تشكل عقبة كبيرة في وجه بناء الأمة (الإسلامية)، ولعل بها يستحيل بنائها[1]».

كما يفصح مؤسس الإسلام النبي (صلى الله عليه وسلم) عن إدانته لعصبية النسب، حسب "ابن خلدون" لأنها كانت تساعد على التفرقة أكثر من الألفة والعنصرية أكثر من المساواة"((2)). لذلك هذا النوع من العصبية بعملية إسقاط بسيطة لا يمكنها أبداً بناء الدولة لأن مشروع الدولة يتطلب بناء مؤسسات وقانون شامل يحكمها يُطبق على الجميع دون استثناء، وضرورة تبني توجه إيديولوجي بالمعنى الإيجابي للكلمة من أجل دحض كل الفوارق، والاختلافات منها الجهوية الإثنية التي كُرست بإيديولوجية زائفة.

ما يحدث في المجتمع الجزائري من ممارسات هو العمل بمعيار الانتماءات العائلية والجهوية، والإثنية من أجل الحصول على خدمة بسيطة أما الامتيازات النوعية فالأمر مفروغ منه، خلاف بين شخصين يتحول إلى شجار بين جماعتين، مسؤول في مؤسسة يحولها إلى قبيلة؛ هذه الممارسات القبلية نابعة من التناقضات التي يعيشها المجتمع

(1)- المرجع نفسه، ص، 149.

2- المرجع نفسه، ص 151.

الجزائري بحيث لم يرقى الفرد الجزائري إلى درجة المواطن العصري بمميازات مشروع التحديث ولم يبقى بالسلوك و النزعة القبلية للقيام على أموره الشخصية و الجماعية القبلية بالرغم من السلبيات التي نجدها في هذا المستوى الأول، لكن هذا لم يأتي بمحض الصدفة باعتبار أن الفرد الجزائري، حقق ما لم تحققه الكثير من المجتمعات في العالم و ذلك عندما قاد حركات التحرر في القرن العشرين، إنما الإشكال وقع في مرحلة الاستقلال عندما فقد المجتمع الجزائري الكثير من المقتضيات النوعية في هويته الثقافية.

أما المستوى الثاني للعصبية فنجد فيه نوعين من التحالف "فهناك التحالف الفردي الذي يتعهد به الفرد وحده، وهناك الحلف الجماعي الذي يعقد بين قبيلتين أو أكثر من ذلك في آن واحد "[1]. وما يهمنا في هذه الدراسة هو النوع الثاني من التحالف « وإن ما ينبغي أن نعلق عليه أهمية هو محاولة إبراز الأسباب الخفية التي تمكننا من أن نفسر لماذا لا تستطيع إلا قبيلة واحدة من بين القبائل الموجودة كلها أن تستولي على الملك، وبالتالي أن تبدل ظروفها المعيشية بفضل تحضرها...[2]» ويحدد "ابن خلدون" الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد موجموعة من الخصائص، باختصار في هذا المستوى عندما يكون العصبية بمعنى " القوة المحركة" تصبح نقيضا للعصبية المبنية على روابط الدم.

ثم يأتي المستوى الثالث للعصبية الذي يضم المستوى الاقتصادي والسياسي، حيث إنكار مذهب المساواة وإخضاعهم لنظام تسلسلي قوي لبروز هذه العصبية التي تفرض وجود زعيم لا يكون محترما فحسب بل يُنظر إليه بإعجاب ويخشاه سكان القبيلة كلهم، وحسب "ابن خلدون" فإن صاحب العصبية إذا بلغ رتبة الإتباع وجد السبيل إلى التغلب

(1) - عبد الغني مغربي، مرجع سابق، ص 152.
(2) - نفس المرجع، ص 153.

والقهر، ذلك ما يمكن أن نسميه بالسلطة التي يحتاجها أي مجتمع من أجل تفعيل سلطة القانون.

لأن التماسك الاجتماعي المبني على قرابة العصب الحقيقية أو الوهمية لا يجسد العصبية بالمعنى السياسي. بينما التعدد والانصهار في عصبية واحدة بالمعاني المختلفة التي يمكن أن نعطيها لهذا المفهوم (الإلتحام الاجتماعي، التضامن الاجتماعي، الروح القومية والوطنية...الخ)؛ هو الذي يشكل اللحظة الحاسمة في تكوين الألفة وسط المجتمع الأمر الذي يؤدي إلى عصبية بالمعنى السياسي ذات طابع اقتصادي.

هذه العصبية إذن عصبية جماعية لأن هذا التدرج الذي تأخذه الألفة والتوافق يتمثل في استعمال الضمير نحن ليس بالشكل الذي توظفه العصبية بالنسب القائمة على روابط الدم، والعصبية التي تساعد على بناء الدولة عبارة عن تأليف بين الالتحام الاجتماعي وعلاقات التبعية وسيطرة الزعيم. ويشير "ابن خلدون" إلى الذكاء الذي يجب أن يتحلى به القائد، وذلك باستغلال العناصر الثقافية المشتركة كالدين مثلا« الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها[1]». لا أن يوظف الدين والعرق واللغة للتفرقة بين أفراد المجتمع الواحد.

أما المستوى الرابع للعصبية فهو شكل خاص بالمدينة، لذا يمكن تسميتها بالعصبية داخل الأسوار كما أنه الشكل الأخير للألفة يمكن أن نعبر عليه بالحزب السياسي. يبيّن "ابن خلدون" أن العصبية التي شكلت الدولة سوف تزول بزوال العصبية التي كانت السبب في وجودها، وكأنه يريد الإشارة إلى القطيعة بين الذين فجروا ثورة التحرير والفاتح من نوفمبر والجزائر المستقلة وكأن الدولة الجزائرية بالمعنى الخلدوني للكلمة كانت قائمة في عهد الاحتلال بالمعنى الخلدوني للكلمة.

(1)- المرجع نفسه ص، 160، نقلاً عن مقدمة ابن خلدون ، ص 233.

ويتناول ابن خلدون بالتحليل المرحلة الأخيرة من عمر الدولة وعندما ينزل الهرم بها يحتاج أهل الأمصار القيام على شؤون بلدهم وحمايتها ثم يبدأ التنافس ويتميز العلية عن السفلة، حيث يسعى الجميع لكسب التأييد والأحلاف من أجل الظفر بالأغلبية حتى يتمكن واحد فقط من السيطرة على الآخرين.

هذه العصبية مبنية على المبدأ الاقتصادي الخاص بالعرض والطلب حيث يمكن لنفس الشخص أن يكون خصما ومناصرا لنفس الحزب فالمسألة متوقفة على العرض، ويعمل أصحاب المال والنفوذ على تجنيد أكبر عدد ممكن من المرتزقة والأوغاد لأنهم لا يناصرون هذا أو ذاك إلا بالمال، وقاعدة اللعبة تتمثل في الانضمام لصاحب أكبر عرض، وعندما يكون المعيار هو المال فإنه يمكن لأي شخص أن يصل إلى السلطة، وكأن "ابن خلدون" يحلل الحملة الانتخابية في المجتمع الجزائري في الوقت الراهن، فكيف لمثل هذه المعايير أن تعمل على إعداد مشروع مجتمعي يعمل على القضاء على الظواهر مثل القبلية .

2/4 تناقضات تبني الحداثة في المجتمعات المغاربية (محمد نجيب أبو طالب)

هناك واقع يتميز بثنائية استمرار التقليدي في الحداثي، و العصري في القديم أنماطا ونماذج متداخلة متعايشة، فهل جدلية الانقطاع والإتباع أو التغير والاستمرار أو القطيعة والتواصل تمثل خصوصية مغاربية ظلت تمثل أحد ميكاميزمات تمفصل تركيبة المجتمع وصيرورته؟ هل يمكن المساهمة ـ عبر سوسيولوجية جدلية التواصل والقطيعة ـ في تطوير المنظومة النظرية لتحليل بنية المجتمع العربي الإسلامي المعاصر؟ و هل تمكننا هذه

المساهمة من فهم خصوصية التطور الاجتماعي في المنطقة دون الاعتماد على إسقاط نظري لواقع ثقافي وفكري مغاير [1].

سياسة الاحتلال ثم عهد الدولة الوطنية في البلدان المغاربية عملت بالتدرج على تفكيك البنية القبلية وخلخلة البناء الاجتماعي التقليدي، وبالتالي فقد تم إدماج المجتمع القبلي في المجتمع الوطني، خاصة عملية بناء الدولة وتبني نظم التحديث والتنمية التي اتخذت أشكالاً سياسية واجتماعية واقتصادية.

تناولت الدراسة الأسئلة الرئيسية التالية:

– هل استطاعت الدولة تفكيك مرتكزات المجتمع القبلي من خلال مشروع تغيري وكيف فعلت ذلك؟

– ما هي الآليات التي اعتُمدت لتحقيق الاندماج؟

– ما علاقة الدولة بالمجتمع المحلي؟ وما هي الصورة المتبادلة بينها عبر عقود من التفاعل؟[2]

كما طرحت الدراسة أسئلة فرعية أخرى مثل مسألة التنمية وعلاقتها باستمرارية تحكم بعض البنى الاجتماعية التقليدية في بعض المجتمعات المعاصرة منها الظاهرة القبلية؟

ومن جهة أخرى أليس توطين المعرفة أو نقلها يعني توطين الموضوعات بدارسة المشكلات الجوهرية والتحرر من أَسر موضوعات الآخر؟.

ومن بين الافتراضات التي وضعها صاحب الدراسة:

(1)- محمد نجيب أبو طالب، سوسيولوجيا القبيلة في بلاد المغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001، ص 24
(2)- المرجع نفسه ص 12.

– يعتبر استمرار القبيلة في المجتمعات المعاصرة نوعا من مقاومة الدولة، وبالتالي مقاومة مفهوم الوطن. وقد تتحول هذه المقاومة إلى نوع من التعايش الحذر بين بنيتين تنفي كل منهما مشروعية الأخرى.

–بطئ التحولات الاقتصادية الاجتماعية في الأرياف، وتعثر مشاريع التنمية فيها، ما أدى إلى جمود في أسس البناء الاجتماعي وتحكم المحددات التقليدية في المجتمعات المحلية.

– يلعب التهميش الاجتماعي والجهوي، كبعض من إفرازات التطور الحديث، دوراً في الحفاظ على طابع الانكفاء في العلاقات ما بين المجموعات والجهات، أي ضعف الاندماج الوطني.

– تعتمد عملية إعادة تشكل الوعي القبلي و استمراره على الظهور الخفي والمناسباتي، وكذا في فضاءات مغايرة، هذا التشكل يمارس نفسه عبر التخفي والتلون (في النشاطات السياسية والصراعات العقارية وأثناء ممارسة المجموعات للهجرة: تناصر، تجند قرابي، تضامن).

– مقاومة الأديولوجية المتطرفة بأديولوجية نقيضة، أو مقاومة السياسي بالاجتماعي . فهل يمكن اعتبار أن السكوت عن التمظهرات و التعبيرات العروشية، أو التشجيع عليها في بعض الأحيان، يمثل شكلاً من أشكال مقاومة التطرف الديني الذي يهدد الدولة؟.

– استمرار الانتساب القبلي لدى الفاعلين و قوة حضور القرابة الدموية، فضلاً عن ضعف أطر المجتمع المدني التي تترك فراغاً لتبلور أسس الانتماء التقليدي.[1]

(1)- المرجع نفسه ص 25.

– تلعب الجماعات القرابية ذات المنشأ القبلي دور إعادة إنتاج العلاقات الحميمية، خصوصا حينما ترتبط بضعف فرص الحوار وفقدان العدالة في المجتمع، لذلك يلجأ الأفراد والمجموعات إلى التاريخ القبلي بمحدداته الاجتماعية باختصار تشكل هذه المجموعات نظام دفاعي لمواجهة التهديد الخارجي.

– تقوم فرضية القطيعة والتواصل المركبة على أن التحولات قد أدت إلى خلخلة البناء الاجتماعي وتفكيك البنى التقليدية و إحلال بنى وعلاقات جديدة، لكن هذه الصدمة لم تستطع بعد إلغاء المحددات النفسية والثقافية للبنى التقليدية التي بقيت تتمظهر في أشكال متخفية، وفي مقابل انقطاع تلك البنى ونفككها بشكل درامي، عبر التحديث، تعتبر ظواهر الشللية القرابية والعشائرية والطائفية الجهوية، تعبيرات عن ردة فعل اجتماعية محلية على تحطيم البنية القبلية وهياكلها التي كانت تشد النسيج الاجتماعي المحلي. فالتحديث فكك القبيلة، ولكنه لم يقض عليها.

– ازدواجية المواقف: ثمة أطروحة سياسية تعتبر أن الدولة في العالم النامي، بقدر مقاومتها لهذه الهياكل التقلدية في جيلها الأول، أي مع بداية الاستقلال، تتعامل معها تعاملاً جزئياً في جيلها الثاني. فهناك دول تعتمد على إثبات شرعيتها لضمان استمرار تحكمها واسترجاع إشعاعها عن طريق توظيف العصبيات القبلية أو الطائفية، وذلك بعد أن كانت في العقود الأولى للاستقلال تعتمد على الشرعية السياسية المستمدة من النضال من أجل التحرير والبناء الوطني ونزع بقايا الاستعمار (هذه الفرضية صالحة لعدد من الأقطار العربية دون غيرها) [1].

– ازدواجية الانتماء لدى الفاعلين في البلدان المغاربية فالاندماج الوطني لم يلغي الاندماج في دوائر أولية. وتضفي طبيعة الدولة المغاربية نوعا من المرونة في الانتماء، وهو ما

(1) المرجع نفسه ص 26.

يعتبر من خصائص الأيديولوجيات السياسية السائدة في المنطقة. لقد سمح هذا الخيار بتعددية أبعاد الانتماء، ولعل بعض المحللين يعتبرون تلك الخصوصية في تشكيل الهوية الوطنية مصدر استقرار وثراء في بعض الأقطار(تونس، المغرب)، إن أغلب التحليلات المنبثقة من فرضية القطيعة والتواصل تسعى إلى إثبات حضور هذه المقولة في الأقطار المغاربية الأكثر تعايشاً مع البناء القبلي، مثل ليبيا وموريتانيا وحتى المغرب، فكيف تتمظهر هذه الفرضية في مجتمع عُرف بأن دولته الوطنية أقامت قطيعة مع هذا البناء مثل تونس؟

لم تعتمد الدراسة على منهج معين ومحدد بل تبنت الخيار التعددي (المنهجية التعددية)، وذلك لأن الموضوع له أبعاد مختلفة ممتدة في المكان والزمان حسب صاحب الدراسة، بالإضافة إلى الرغبة في التحرر الذي فرضته الإيديولوجيات والنظريات والمدارس التي أدت إلى إضعاف المنهجيات التقليدية التي تعتبر السبيل الوحيد لمعالجة هذا النوع من المواضيع، لذلك إعتمد صاحب الدراسة على المنهج التاريخي المقارن والمنهجية الإثنية (هذا المنهج الذي يعتبر تيار نظري في التفاعلية الرمزية).[1]

أما الجانب النظري للدراسة فقد تطرق : نقد النظريات الكولونيالية والأنجلوسكسونية بالإضافة إلى تلك النظريات المحلية التي انساقت مع أحد الطرحين التي تناولت بالدراسة والبحث المجتمعات المغاربية، والظاهرة القبلية خاصة.

تطرقت الدراسة كذلك إلى مفهوم القبيلة بين الأنتربولوجية وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى فصل حول العلاقة بين القبيلة والإثنية في العالم المعاصر. والمجتمعات المغاربية بالتحديد، و كذا الخصائص التي تتميز بها هذه الأخيرة بين الثابت والمتغير.

(1)- المرجع نفسه، ص 27.

ومن بين أهم النتائج المتوصل إليها:

– تم الوصول إلى التمييز بين إشكاليتين الأولى سوسيولوجية تتعلق بالتراوح بين التواصل والقطيعة في تفاعل المجتمع ذي التقاليد القبلية مع عمليات التنمية والتحديث، والثانية نظرية تتعلق بأزمة المقاربات أكثر من كونها أزمة مجتمع.

– الجانب أو البعد التاريخي في مشروع بناء الدولة الحديثة كان مهملاً لدى الفاعل السياسي من جهة، ولدى المنظرين للبناء الاجتماعي في المدارس والنظريات الاجتماعية الحديثة.

– أغلبية الأحداث السياسية، والعسكرية، والدينية التي تطبع الصراعات في بلدان الجنوب، تحركها نوازع ما " تحت وطنية " كالقبيلة، والإثنية، والطائفية، ولكنها متفاوتة الحضور بحسب اختلاف التجارب والمواقع.

– لعبت هشاشة تجارب البناء الوطني من جهة، والتحريكات الخارجية من جهة أخرى، دوراً في استمرارية بؤر التوتر في المنطقة مما جعل المحللين يتحدثون عن نموذج مغاربي.

– الظاهرة كونية فحتى الدول الغربية مازالت تتحدث عن القبيلة بخلفيات مغايرة ولكنها مشابهة، حينما نتناول مفهوم الجماعة المغلقة التشبه بالقبيلة الإفريقية.

– لم تعترف الدول المغاربية بالمعطى القبلي بل اعتبرته عنصر شد إلى الوراء أمام عمليات التحديث.

– مراحل العنف التي عرفتها هذه المجتمعات بعد الاستقلال هي نتيجة لحالة التهميش الثقافي والاجتماعي.

– يمثل توظيف شبكة العلاقات القاربية في الأنشطة الإقتصادية، والسياسية، والاجتماعية أهم مظاهر إستمرارية الحياة القبلية وحضورها الفاعل في المجتمع المحلي ذو التقاليد القبلية العريقة.

– الهوية القبلية يحركها عاملا النفوذ السياسي للجماعة من جهة، والنردودية الموسمية للأرض من جهة ثانية، بالإظافة إلى الاستحقاقات الإنتخابية من جهة ثالثة.[1]

– تفكيك البناء القبلي عملية معقدة مستمرة لعبت فيها إجراءات الحركة الوطنية ثم الدولة الوطنية، وتأثيرات المحيط العالمي أدواراً سياسية.

* نتائج الدراسة على ضوء المجتمع التونسي نموذجاً:

– استفاد الاستعمار في تونس من التجربة الجزائرية مقلصاً من العنف ومعتمداً على الإلتفاف حول المجموعات القبلية، مثلما اعتمد على سياسة فرق تسد.

– تفكيك البنى القبلية لم يكن وارداً إلا في الحالات التي كانت تهدد فيها مصالحه بشكل مباشر.

– سياسة الاحتلال كانت تغذي النوازع و النعرات القبلية، وتذكي الصراعات، وما يخفيه المجتمع اليوم من توترات تعيد إنتاج المشاعر القبلية في بعض الجهات . من خلال مشكل أرض العروش.

– اعتمدت سياسة الدولة على خطاب العروبة والإسلام، وأدمجته في مشروعها التحريري وجعلت منها أحد عناصر البناء المنشود، ولكنها في المقابل لم تلغ الهويات الماتحت

(1)- المرجع نفسه، ص 160/159

وطنية، بل وظفتها وجعلت منها دوائر مقاومة امتدت بشكل جغرافي، وشكلت قلاعا حصينة (حسب تعبير جاك بيرك).

– القبيلة تفككت هيكليا و بنيويا، و لكنها استمرت ثقافيا نفسيا، ووظيفيا. هذه الدراسة تظهر بشكل مميز العوامل الخفية التي تتحكم في مشاريع بناء الدولة في المجتمعات المغاربية مشروع بناء الدولة المرتبط بطبيعة الحال بمشروع التحديث، حيث اثارت الدراسة نقطة أساسية ومهمة وهي ضرورة توطين المعرفة بشكل عام، من أجل انطلاقة حقيقية في فهم البنية المجتمعية، كون الأزمة حسب الكاتب ليست متأتية من أزمة المفهوم بالنسبة للقبيلة، و إنما أزمة مقاربة للواقع الاجتماعي، بالإضافة إلى الاهتمام بشكل مبالغ فيه بالتنمية الاقتصادية وإهمال الجانب الثقافي والدراسة الأنتربولوجية والسوسيولوجية للمجتمعات المغاربية وهذ جوهر البحث والدراسة للمقياس سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي[1]

6– سوسيولوجيا السمو:

المجتمعات ذات التراث العقائدي التوحيدي هي من يسعى لبلوغ مذهب الترانسندنتالية كونها تؤمن بالإله الواحد، تعود جذورها إلى الديانة المسيحية في أوروبا لتعرف توجها فلسفيا جديدا في المجتمع الأمريكي الذي أعطى لها بعدا تصوفيا (mysticisme) أخلاقيا بهدف التوحيد بين الفرد والعالمية . كما أنها مجموع المذاهب الفلسفية التي تقوم على عقيدة السمو»[2]

يرى في الدين توضيح لأطروحته حول أولوية المجتمع على الفرد حيث يعرف الدين في كتابهles formes élémentaire de la vie religieuse بقدرته على التمييز بين المقدس والمدنس. كل ما هو ذي صلة بالمقدس فهو معزول عن المدنس، ومحمي من

(1)- محمد نجيب أبو طالب مرجع سابق، ص 162/161.
(2) - تعريف قاموس لاروس

طـرف المحـرم، وهـذا يمكـن أن يكـون: آلهـة، أمـاكن، أشـياء، حركـات، طقـوس، أو معتقدات...إلخ[1]. لـذلك يعتبـر مؤسس السوسيولوجيا الفرنسية (ايميل دوركـايم) أحد أبـرز العلمـاء الـذين تنـاولوا الظـاهرة الدينيـة مـن وجهـة نظـر سوسـيولوجيا فكانـت الفلسـفة – الترانسندنتالية– ذات جذور أروبية بامتياز حيث حاول الأمريكيون أن يجعلوا منها توجها فلسفيا، ايديولوجيا، وسياسيا في نفس الوقت، من أجل التحكم في الاختلاف الثقافي الذي يعرفه مجتمعهم خاصة بعد حركة الهجرة التي عرفها العالم إلى أمريكا بالموازاة مع التطور الاقتصادي الذي عرفه هذا الاخير.

الدين في أبسط أشكاله عبارة عن طوطم فوراءه يوجد شكل غير مسمى للمجتمع يتجاوز الإرادة الفردية، وبالنتيجة نجد أصل المقدس في السلطة الأخلاقية للطوائف البدائية.

لا يتعارض الدين مع العلم، ويجود علم الدين، ويبقى العلم ناقصا وعلى الدين تعويض ذلك.

وفي نفس السياق لا تنحصر الأخلاق، والدين، والقانون في التفسير المادي؛ لأن الوعي الجماعي ليس مجرد ظاهرة تندرج ضمن قاعدة الحاجات البيولوجية، لكنه تركيب خاص لمجموع الوعي الفردي المتمثل في الأحاسيس، والأفكار، وهنا نجد نوع من الاتفاق مع التحليل الماركسي مع الاختلاف في الأسس النظرية.

«لا يقتصر إنجاز (دوركايم) عن تأسيس السوسيولوجيا كعلم، فهي تتجذر في تأمل تاريخي قلق حول تقدم المجتمعات الصناعي، وما يتسم به من اختفاء الأطر الاجتماعية القديمة، وما صاحبه من أزمة في القيم والمعتقدات الجماعية، ففي كتابه عن تقسيم العمل الاجتماعي يحلل (دوركايم) الانتقال من نمط إجمالي للمجتمع إلى نمط آخر، فالمجتمع

(1) - IBID ,p 32.

القديم يتصف بتضامن ميكانيكي، حيث يمكن للأفراد أن يحل بعضهم بعضا، ووعيهم بكامله مهموم بالأخلاق والمعتقدات الجماعية، أما المجتمع الجديد فيتصف بتضامن عضوي: مؤلف من أفراد متمايزين بشكل صريح بسبب تأثير تقسيم العمل وينفصل الوعي الفردي بشكل كبير عن أخلاق الجماعة وقيمها.

لكن خشية كبيرة قد ظهرت "لقد نتجت تبدلات عميقة خلال فترة قصيرة من الزمن في بنى مجتمعاتنا، ونتيجة لذلك تقهقرت المجتمعات من الناحية الأخلاقية التي كانت تتوافق مع النمط الاجتماعي القديم دون أن تتطور أخلاق أخرى بالسرعة المناسبة في وعينا وضمائرنا، إيمانا مضطربا والتقاليد فقدت سلطتها، وتحررت المحاججة الفردية من المحاججة الجماعية، لكن الحياة الجديدة التي استخلصت ليست منتظمة بشكل يكفي الحاجة إلى العدالة التي استيقظت في قلوبنا، المجتمع الجديد الذي يدفع إلى تقسيم العمل إلى الأبعد، يكون فيه الإلزام القطعي [الأمر المطلق] للضمير الأخلاقي هو في طريقة ليتخذ الشكل التالي: ضع نفسك في وضع تملأ فيه بشكل مفيد وظيفة محددة، لكن ما من مجتمع يمكن أن يبقى دون أخلاق دون معتقدات مشتركة ودون روح[1]».

هذا الاسهام لمؤسس السوسيولوجية الفرنسية لا يقل أهمية عن إسهام آخر لأحد رواد علم الاجتماع الألماني (ماكس فيبر) الذي جمع بعبقرية كبيرة بين المذهب البروتستانتي في الديانة المسيحية، والنظام الرأسمالي وذلك من خلال العزوف الذي تتميز به هذه الفئة عن الاندماج في عالم الأعمال باعتبارها أقلية مقارنة مع الكثوليك.

« فافترض مسبقا وجود قرابة عميقة بين عزوفهم الزاهد عن خيرات العالم ومشاركتهم الرأسمالية في حياة الأعمال، بعدما استنتج إن الطابع المميز للكنيسة المسيحية والفرق

(1) فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه مرجع سابق ص 57.

البرتستنتية مرده حسن الأعمال القوي الممزوج بورع يغطي ويهيمن على الحياة كلها، وهو أمر ينطبق على الكالفينية.[1]»

ليعمم هذه المقاربة على الفرد الرأسمالي في المجتمعات الغربية حيث تجتمع الرقابة الذاتية مع إتقان العمل والنزاهة مع الإخلاص كل هذا في إطار العقلانية في الإنفاق والعزوف عن الملذات، والعمل بقاعدة المال ينتج المال، وتفادي مبدأ الكسب من أجل الإنفاق.

يتناول مفهوم الحضور في الفلسفة الكائن الذي يحمل مبادئه في ذاته عكس السمو الذي يشير إلى قضية خارجية ومتعالية، وبالتالي فان الحضور يطرح موضوع العلاقة بين الذات والحضور.

(1)- جان بيلر دوران ، روبير فايل. مرجع سابق، ص 90.

خاتمة

يحتوي المقياس على مادة علمية ومعلومات تشكل القاعدة النظرية للطالب في مرحلة الليسانس، خاصة كونه يعالج ظاهرة شاملة للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بالمعنى الواسع للكلمة، باعتبار أن المفهوم ظهر في فترة التحول التي عرفها المجتمع الغربي حيث كانت ظاهرة التماسك والتضامن، والهوية هاجسا أرّق العلماء والمفكرين وقت ذاك والسبب المباشر في ذلك القيم التي جاءت بها هذه المرحلة، تناول العلماء هذه الظاهرة الشاملة (الروابط الاجتماعية) بايديولوجيات ومنهجيات مختلفة، شكلت تنوع وثراء ساهم بشكل مباشر في النضج المعرفي لعلم الاجتماع.

أما بالنسبة للمجتمعات غير الغربية فكلها كانت تواجه صعوبة نقل هذه المعرفة الغربية إلى مجتمعاتها، فهناك من نجح نسبيا في ذلك مثل المجتمعات الشرق أسيوية كاليبان، الصين، كورية، الهند، ماليزيا، أندونيسيا، فمنها المتطورة، ومنها من في طريق النمو.

حيث كانت استراتيجيتها تكييف وتعديل هذه المعرفة وفق الخصوصية الثقافية والمجتمعية، عكس ما حدث للمجتمعات العربية، والمغاربية على وجه الخصوص التي لم تستطع أن تحقق الانطلاقة الفعلية في الاستفادة من هذه المعرفة وتحقيق مشروع بناء الدولة.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

1-أبو طالب محمدنجيب ، سوسيولوجيا القبيلة في بلاد المغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001

2-الغدامي عبد الله : القبيلة و القبائلية :ط1،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب:2009.

3-المسيري عبد الوهاب، التريكي فتحي. الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003.

4-الكوخي محمد ، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، أفريقيا الشرق، المغرب 2014.

5- بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة، تر:عبد الوهاب علول، مراجعة، جابر عصفور، ط:1، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي –الإمارات العربية المتحدة-1995

6-خزار وسيلة ، الايديولوجيا وعلم الاجتماع، ط1، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، 2013.

7-دوران جان بيار ، روبير فايل ، علم الاجتماع المعاصر، ترجمة ميلود طواهري،ط1 ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر،2012

8-مغربي عبد الغني ، محاضرات مادة النظريات ، جامعة الجزائر- بوزريعة – 2006

9-ميكشللي اليكس : الهوية، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم ،دمشق ،1993

10- كابان فليب ، جون فرونسوا دورتيه: علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات ط1، ت إياس حسن، دار الفرقد سوريا دمشق،2010

المراجع باللغة الاجنبية

8- Boutefnouchet, Mostaefa Introduction A La Sociologie, les fondements, OPU ,Aleger,2004.

9- Montoussé Marc , Gilles Renouard :100 pour comprendre la sociologie, 4e édition , bréal, France ,2009.

10- Paugam Serge, « Le Lien Social :Entretien avec Serge, Paugam » Anne Châteauneuf – Malclés- 2012. In. http://ses.ens-lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136#section-0

11- philipe Boudon, Besnard, et autre : dictionnaire de sociologie, ed Bethsabée Bumel , France,2005 .